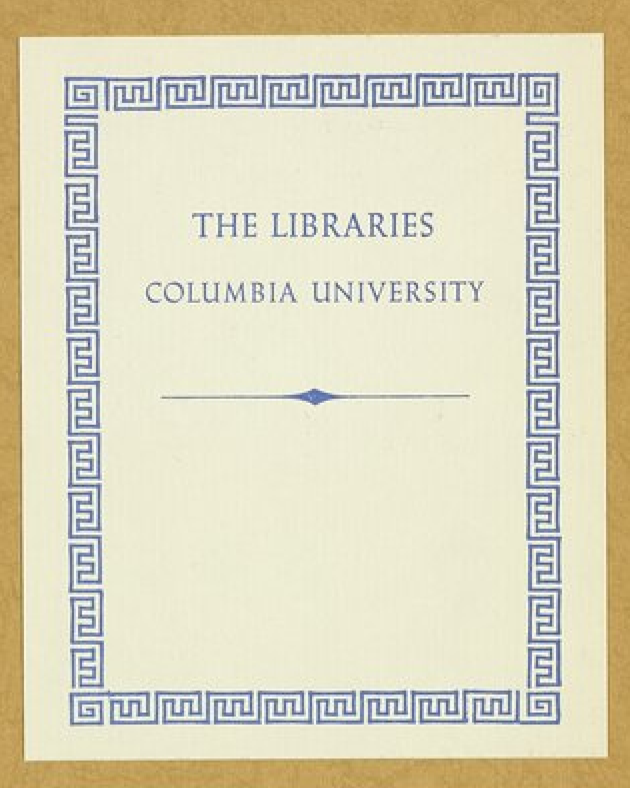

Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

الموصل فى القرن الثامن عشر
حسب مذكرات دومينيكو لانزا

عربها عن النص الايطالي

القس روفائيل بيداويد
دكتور في الفلسفة
دكتور في اللاهوت
استاذ في المعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني

الطبعة الثانية

المطبعة الشرقية الحديثة
في الموصل
١٩٥٣

(الثمن ١٠٠ فلس)

الموصل في القرن الثامن عشر

حسب مذكرات دومينيكو لانزا

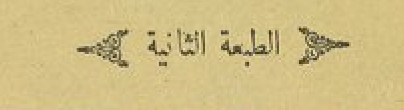
عربها عن النص الايطالي

القس روفائيل بيداويد

دكتور في الفلسفة

دكتور في اللاهوت

استاذ في المعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني



الطبعة الثانية

المطبعة الشرقية الحديثة

في الموصل

١٩٥٣

باذن الرؤساء

مقدمة المعرب

١ — دومينيكو لانزا

دومينيكو لانزا راهب من رهبانية الاخوة الواعظين الملقبين بالاباء الدومينيكيين نسبة الى مؤسس رهبانيتهم القديس دومينيكو دي كزمان (١١٧٠-١٢٢١). ولد في تورينو من اعمال ايطاليا في ٢٢ ايلول ١٧١٨ . دخل الرهبانية سنة ١٨٤٩ في مدينة روما وبعد ان انهى دروسه اوفده رؤساؤه الى الموصل للعمل في الرسالة التي عهدت سنة ١٧٤٩ الى الدومينيكيين الايطاليين .

للاب لانزا اقامتان في الموصل : الاولى من ٣١ كانون الثاني سنة ١٧٥٤ الى ٢٢ آذار ١٧٦١ تخللها سفره الى القسطنطينية سنة ١٧٥٦ . والثانية من ٢٥ آذار ١٧٦٤ الى ٢٣ ايار ١٧٧٠ .

بعد اتعاب جمة مفيدة ، رجع لانزا الى روما حيث عينه البابا اكليمنضوس الرابع عشر سنة ١٧٧١ مستشاراً لمجمع الطقوس المقدسة نظراً للخبرة التي كان قد اكتسبها في الشرق ونخص منها الطقس الكلداني .

اما سنة وفاة لانزا فمجهولة . ومن المحقق ان يكون بعد ١٧٧٥ حيث ان المؤلف في نهاية ملخص تاريخ رحلاته يذكر البابا اكليمنضوس الرابع عشر وينعته بـ « الطيب الذكر » ، الامر الذي يدلنا على ان البابا كان في ذمة الخلود يوم سجل لانزا مذكراته هذه . والحال ان البابا توفي سنة ١٧٧٤ . اذاً في هذه السنة كان لانزا بعد في قيد الحياة .

اعتاد الاب لانزا في حياته الرسولية ان يسجل الحوادث بظروفها في مذكراته

اليومية معتمداً فى ذلك على مشاهداته الشخصية كما يحدث عن نفسه قائلا : « عزمت على كتابة مذكراتي حسبما شهدت الحوادث بأم عيني غير مستند الى معلومات السواح المختصرة » (١) . وجمع مذكراته فى كتابين نفيسين اولهما سماه « تاريخ رسالتنا فى الموصل » (٢) وهو كتاب مفقود . وثانيهما « ملخص تاريخ رحلات الاب دومينيكو لانزا من الاخوة الواعظين بين روما والشرق من سنة ١٧٥٣ الى ١٧٧١ » (٣) ، وهو الكتاب الذي سنبحث عنه فى عجالتنا هذه وله مذكرة ثالثة في زيارته الرسولية لكسروان من ٢٢ آذار ١٧٦١ حتى ٢٥ آذار ١٧٦٤ وهي مخطوطة محفوظة في خزانة السجلات العامة للرهبانية الدومينيكية في روما (٤) .

٢ — مخطوطة المذكرات

كتبت المخطوطة الاصلية باللغة الايطالية وتقع فى ٦٢٥ صفحة وكانت فى خزانة السجلات العامة لرهبانية الاخوة الواعظين في روما ، لكنها ضاعت في غوائل الثورة الرومانية سنة ١٨٤٨ ثم وجدها الاب كوليلموتي (*Guglielmotti*) عند قصاب كان قد اشتراها لتغليف اللحوم للمبتاعين .

---

(١) المذكرات : (الى القاريء) . طالع ايضاً الكتاب الثاني ، الفصل السادس .

(2) Relazione istorica della nostra Missione di Mussol..

(3) Compendiosa relazione istorica dei viaggi fatti dal P. Domenico Lanza dell Ordine dei predicatori da Roma in Oriente dall'anno 1753 fino al 1771 .

(٤) نشكر في هذا المقام السيد كريم دلي ، احد طلاب البعثة العراقيين في الجامعة الاوربانية في روما ، لتفضله علينا بهذه المعلومات المستقاة من خزانة سجلات الرهبانية الدومينيكية في روما .

ولما تعين الاب ليجيه (Ligiez) امينا لخزانة سجلات الرهبانية في روما — وكان هذا الاب احد المرسلين سابقاً الى الموصل — عني باستنساخ نسخة من المخطوطات الاصلية واهداها سنة ١٨٩٥ الى دير الاباء الدومينيكيين بالموصل ، وهي النسخة التي عولنا عليها في ترجمتنا هذه .

تشغل هذه النسخة ٤٣٩ صفحة من الحجم المتوسط ، كتبت بخط متقن صريح الا ان بعض الاسماء وخاصة التركية منها ممسوخة وذلك لجهل الناسخ التركية ، ولقد عنينا جهدنا بتصحيحها .

تقسم المخطوطة الى قسمين او كتابين : اولهما يتناول رحلة لانزا الاولى في سبعة واربعين فصلا من سنة ١٧٥٣ الى سنة ١٧٦٢ (ص ١ — ٢٦٤) وثانيهما رحلته الثانية في ثلاثين فصلا من سنة ١٧٦٣ الى سنة ١٧٧١ (ص ٢٦٥ — ٤٣٩) .

وهناك ترجمة فرنسية خطية للكتاب الاول في مجموعة سجلات الرسالة الدومينيكية بالموصل تقف عند الفصل الثامن والثلاثين . وكان الاب كورماغتيغ (Goormaghtigh) قد اقتبس منها بعض فقرات نشرها في مقاله المعنون : « تاريخ رسالة الموصل » (١) ولقد عني حضرة العلامة الدكتور داود الجلبي بترجمة مايخص تاريخ الموصل من هذه النسخة الى اللغة العربية .

ولما كانت المخطوطة الايطالية طي النسيان في خزانة سجلات دير الموصل ، بقيت رحلة لانزا الثانية مجهولة الى أن عثر عليها حضرة الاب جان فيي (Fiey) وقد طلب الينا المرحوم ناظم بك العمري درس الكتاب

---

(1) Histoire de la Mission de Mossoul

وما يلي Analecta S. O. Praed., 1896, p. 414 في

الثاني ونقله الى العربية . فقمنا بالترجمة عن النص الايطالي الاصلي ، وبعد ان انتهينا منه اعدنا النظر في الكتاب الاول ايضاً وقابلناه بترجمة الدكتور داود الجلبي فحصلنا على فقرات اخرى جديدة .

ونود ان نلفت انظار المطالعين ترجمتنا هذه : اننا اقتصرنا فيها على النقاط التاريخية المتعلقة بتاريخ الموصل تاركين جانبا ما لا يعنينا من اخبار المؤلف في مختلف البلدان الاخرى التي اجتاز بها مثل الاراضي المقدسة والقسطنطينية وحلب واورفا الخ. كما واننا اغفلنا الاخبار الخاصة مما لا علاقة له بموضوع بحثنا وقد بوبنا هذه المقتطفات وعنوناها بحسب مواضيعها ملحقين بها جدولا باسماء الاعلام والاماكن لتسهيل المطالعة .

وهنا لابد لنا من ان نوجه كلمة شكر الى رئاسة الرسالة الدومينيكية في الموصل اذ يسرت لنا هذا العمل وسمحت لنا بنشره لفائدة الجمهور .

القس روفائيل بيداويد

مدينة الموصل

مدينة الموصل

١ — موقعها

تقع مدينة الموصل على ضفة نهر دجلة الجاري تحت سور المدينة من الجهة الشرقية حتى الشمال ، اما في جنوبها وغربها فتمتد الصحراء . وفي شمالها على مسافة نحو اثنتي عشرة ساعة تبدأ جبال كردستان التي تفصل العجم عن الامبراطورية العثمانية .

يقول العلماء والكتبة ان الموصل تقع على خط عرض ٣٤ - ٣٥ لكن الشماليه نيبور (*Niebuhr*) (١) الذي بعثه ملك الدانيمارك الى الشرق للبحث عن المسائل الفلكية وعن درجات عرض مختلف البلدان الرئيسية الشرقية المذكورة في الخرائط الجغرافية ، بعد ان درس موقع الموصل سنة ١٧١٦ اكد لي بانها على درجة ٣٦ و ٢٠ دقيقة .

٢ — قدميتها

ان قدمية الموصل ثابتة من تواريخ النصارى وفيها ذكر كنائس واديرة (وكثير منها تشاهد اطلالها حتى اليوم) وقد تعاقب فيها الاساقفة منذ سنة ٥٠٠ م وانعقدت فيها المجامع الدينية الخ .

---

(١) بحث الاب لانزا عن زيارة هذا الفلكي للموصل في كتابه الثاني ، الفصل العاشر .

وقد لاحظت من جهة اخرى عند حفر البنايات الواقعة تحت الارض في عدة نواح من المدينة ، وجود ابنية كثيرة واقية عميقة حتى انه عثر اثناء اقامتي هناك على ثلاث طبقات من الابنية : الواحدة على انقاض الاخرى، وتحت الطبقات الثلاث وجدت جدران ضخمة كانت اسساً لقصور كبيرة . وهذا ما يحملنا على القول بكثرة الخرائب والانقلابات التي تعاقبت في هذه المدينة والتي لا يرد الذكر الا للقليل منها في تواريخ الشرقيين .

٣ — العمران

دور المدينة جيدة وقوية ، مبنية بالاحجار والطابوق والجص ، وهي مريحة وكلها على طراز واحد تقريباً وان هندستها المألوفة هي على الصورة التالية : كل دار لها في الوسط منطقة مفتوحة . من جهة الفناء اشبه بغرفة، ومن الجهة الاخرى تقوم غرف في الطبقة السفلى جميلة البناء باعقادها وتتصل بها خزانة (١) .

ولشدة الحر ينام الاهلون اربعة اوخمسة اشهر الصيف على السطوح آمنين المطر والندى . وللغاية عينها يوجد في كل من البيوت الواسعة غرفة تحت الارض متقنة البناء تسمى « سرداب » لاتقاء حر الصيف .

ومن بنايات هذه المدينة الخاصة نوع آخر من البنايات تحت الارض

---

(١) ان هذه الفقرة هي ذيل للمؤلف ، ادخلناه في المتن . الاعقاد هي ما يعبر عنها بلغة الموصل العامية بالعقد (جمع عقدة)

لحفظ الحنطة ، الكبيرة منها متوسطة الحجم : ويسع الصغير منهـــا ١٠٠ الى ٢٠٠ كيس من الحنطة . والكبيرالى ٤٠٠ وهي عميقة بشكل نافوس تحيط بها جدران قوية مطلية بالزفت لحفظ الحنطة التي يحتاج اليها الاهلون وتسد باهتمام واحياناً يسد فم الحفرة الى عمق ذراع تحت الارض بحيث لايشك احد بوجود شيء في ذلك المحل . وهكذا كانوا يحافظون على سلامة الحنطة لمدة عشرين سنة او اكثر . لذلك فان الحنطة عند الموصليين تبقى محفوظة عندهم بكميات كبيرة لبيعها متى شاؤوا لاكراد الجبال واعراب الصحراء ، عدا التي يبعثون بها الى بغداد عن طريق النهر .

٤ — اسوار المدينة

ان النطاق الذي تحده اسوار هذه المدينة ليس باضيق من نطاق بغداد بل هو اوسع نطاقا من حلب حسبما اكد لي السيد يوسف ريكو (Rigo) كما عرفه بنفسه . وتحصيناتها ليست خطيرة بالنسبة الى تحصينات اوروبا ؛ لكنها كافية لصد هجمات الاعراب والاعجام ؛ وبالخصوص في الوقت الحاضر بعد ان اقام حسين باشا قسما كبيراً من السور القديم المتهدم اثناء الحصار (١) .

٥ — سكان المدينة

رغم ما انتاب الموصل من تقلبات ودمار فهي لاتزال واسعة جداً ، كثيرة السكان حتى انها دفعت وحدها في السنين الاخيرة جيش طهماسب كولي

(١) يشير الى حصار طهماسب كولي خان لمدينة الموصل .

خان ملك الفرس : ذلك الجيش الجرار ، بفضل قوتها وكثرة عددها من غير ان تحتاج الى مساعدة الجيش العثماني .

ولقد حدثني المسنون من اهل البلدة مراراً ان نصف البلدة تقريباً كان في زمانهم خرائب خالية من السكان ، وان اهاليها كانوا اقل عدداً من الآن بنحو الثلث . وكانت المعيشة على انواعها رخيصة جداً واللباس خشناً وقليل الثمن ، ولم يكن فيها من بائعي السلع والمنسوجات سوى بضعة من النصارى . وكان النصارى لايختلفون بعاداتهم وازيائهم عن المسلمين ، فلم يكن بين المسيحي والمسلم من علامة فارقة . الا انه لما نشبت الحرب بين الباب العالي وايران في مستهل هذا العصر ، اخذت الجيوش العثمانية تتوارد متوالية الى الموصل . فحدث ان كثيراً من اهالي الموصل سيقوا للحرب وهكذا اختلطوا بالاتراك الاجانب واقتبسوا اخلاقهم وعوائدهم السيئة وتعلموا النعومة في ملبسهم والترف في مأكلهم ومعاشراتهم ، واخذوا هم ايضاً يتاجرون ويحترفون مختلف الحرف حتى اتسعت المدينة في سنين قليلة ونمت ثروتها وكثر اهلها وصارت لاتقل اهمية في نظر الترك عما هي في نظر الفرس . واخيراً لما قدم طهماسب كولي خان هذا القطر بجيش قوي للاستيلاء على الموصل ، لجأ اليها عدد كبير من العرب والاكراد والاتراك ومن نصارى القرى المجاورة . وبعد هذا الحصار الشهير بقيت البلدة مزدحمة بالاهلين ، وانخرط معظم الاتراك في سلك الجندية وتعاطوا في الوقت عينه التجارة واحترفوا شتى الحرف وتكاثروا بصورة عجيبة وزادت ثروتهم واصبحوا صلفين متعجرفين اكثر من اتراك سائر المدن .

ان هذه البلدة خلافاً للظن هي كثيرة السكان جداً بحيث يمكن اعتبارها

من المدن ذات الشأن في الامبراطورية . وبعد ان اقمت فيها وتجولت في انحائها في ظروف عديدة وتأملت جميع اقسامها ، تبينت لي كثرة سكانها الهائلة وفاتحت الاب فرنسيس (١) وعدة اشخاص من اهل البلدة لاعرف كم هو عدد سكانها عند ظنهم ، فاجمعنا على ان عددهم يتجاوز الثلاثمائة الف نسمة ، الا انه لم يكن من الممكن احصاؤهم بالضبط .

اضرب صفحاً عن الاسباب التي هيأت لنا هذا التخمين ، واكتفي بالقول انه في الطاعون الذي حدث بعد سفري (٢) ، اوعز الوالي الى حراس ابواب المدينة ان يحصوا كعادتهم كل يوم عدد الجنائز التي تخرج من السور . فوجد عند انتهاء الطاعون ان اكثر من مائة الف ميت دفنوا خارج المدينة . اضف الى ذلك الكثيرين الذين دفنوا في المقابر داخل البلدة وخاصة منهم المسيحيون الذين لهم مقابرهم المتصلة بكنائسهم بجوار الهيكل (٣) . هذا ما كتبه لي رهباننا من الموصل وزادوا على قولهم ان المدينة ما زالت مأهولة بالكفاية ، لكن الاهلين هم في بؤس شديد .

---

(١) هو الاب فرنسيس كورادينو تورياني *Corradino Turriani* صديق لانزا ورفيق دراسته في روما ومساعده في الموصل . يرد ذكره عدة مرات في هذه المذكرات .

(٢) يشير الى سفره الثاني اي مغادرته الموصل للمرة الاخيرة سنة ١٧٧١ .

(٣) طالع « تاريخ الموصل » لمؤلفه العلامة القس سليمان صائغ ؛ الجزء الاول صحيفة ٢٩٢ — ٢٩٣ .

ومهما يكن من عددهم ، فان غالب اهالي الموصل تنقصهم الثقافة والكياسة ، لان معظمهم يتألف من اتراك واكراد أتوا وسكنوا المدينة بالتدريج ، فصار بعضهم تجاراً واغوات وبقي بعضهم يحوثون الارض او يستخدمون عملاء لحرثها ، ومنهم من انضوى الى قطاع الطرق وخدموهم بالتجسس لهم ، وآخرون يعيشون بمختلف الصناعات؛ والكل تقريباً ينتسبون الى احدى الاورطات (١) ليلتجئوا اليها عند الشدائد وتكون لهم عوناً على الشر .

يهود البلدة فقراء والمظنون ان عددهم لايتجاوز الاربعمائة . اما النصارى فيبلغ عددهم على ما يقال نحو ستة آلاف نسمة ؛ لكن ظني فيهم انهم اكثر عدداً ، معظمهم يزاولون التجارة او الصياغة او يشتغلون بمهن اخرى وثروتهم متوسطة . ينقسمون الى ملتين ومذهبين مختلفين : اليعاقبة والنساطرة . والنصارى في هذه المدينة يعانون حيفاً اقل مما يعانيه غيرهم في بقية بلاد الدولة العثمانية . الا انهم لايخلصون من اهانات جمة تصيبهم : فمنهم الكاثوليك اكثر تعرضاً للتعديات من غيرهم لانحيازهم عن معتقدهم وطقوسهم التي ولدوا فيها . وهذا كان سبباً للوشاية بهم الى الحكومة العثمانية من اهالي البلدة . وكان عددهم عند سفري نحو الف شخص في المدينة ونيفاً واكثر من هذا العدد فى القرى المجاورة .

---

(١) الاورطة كلمة تركية « اورته » معناها الوسط واصطلاحاً تطلق على فرقة الجيش .

٦ — الحالة الاقتصادية

ولايتعجبن احد من كثرة الحبوب في الموصل: فان الاراضي وان كانت قليلة الاستعمال للزراعة، خاصة الواقعة منها الى جهة الصحراء وهي التي لايتمكن الاهلون من زرعها ابداً خوفاً من غزوات الاعراب، فاقتصرت حراثتهم على الاراضي المجاورة للبلدة، الا ان الاراضي الممتدة على ضفة النهر كانت تحرث كلها ومعها ايضاً القرى العديدة القائمة على ضفته الاخرى وهي اراض خصبة جداً خصباً يفوق التصور، لذلك فغلتها تكفي لا بل تفيض عن حاجة الولاية وربما تكفي لسد حاجة الولايات المجاورة. لكن بين آن وآخر تغزوها اسراب الجراد بكثرة ولاتترك معها شيئاً من الحنطة وتلتهمها كلها اذا كانت طرية، اما اذا كانت بالغة اوانها فالضرر اللاحق يكون اخف وقعاً.

ان المواد الغذائية الضرورية في هذه الولاية ارخص قيمة من سائر الولايات عادة، وخاصة الخبز والعنب والخوخ وما اشبه، وهي زهيدة الثمن نظراً الى الكميات الكثيرة التي ترد اليها من كردستان، اما بقية الاثمار فهي قليلة لانها ترد اليها من اماكن بعيدة وبكميات محدودة، هذا ما سوى الشمزي والبطيخ وغيرها من ثمار الارض التي تتوفر في البلاد.

٧ — التجارة

توجد في الموصل انواع البضائع المستوردة اليها من ايران والهند واوروبا

ومن الاقطار الاخرى التابعة الى الامبراطورية . الا ان تجارة الموصل الخاصة عدا الحبوب ، هي الاقمشة القطنية ويصدر منها كل سنة مقدار كبير الى سائر الجهات . ويمكن القول ان البلد بكامله يستفيد فائدة عظيمة من هذا الصنف التجاري : فانه في القرى التي يكثر فيها الماء يزرع القطن بكثرة ، لكنه لا يكفي للحاجة المحلية ، ولذا فكثير من الناس يقصدون بلاد كردستان لتوريده الى الموصل والقرى ، فتشتغل عامة الناس بغزله ويهتم الرجال بنسجه اشكالا مختلفة وآخرون بتقصيره (١) وغيرهم بصبغه اورسمه بصورشتى وغيرهم بنقله وبيعه ، وهكذا فالجميع تقريباً يشتغلون به .

ان الاتجار بهذه الانسجة رائج والربح الناتج منها للبلد وفير جداً وبالدراهم التي يربحها الاهلون من تجارتهم هذه يستوردون من شتى الاقطار المواد التي يحتاجونها لاشغالهم ويتاجرون بها في الولايات المجاورة من كردستان وايران فيرجعون محملين بما تنتجه تلك الاقطار باسعار واطئة ، ثم يذهبون به الى حلب وغيرها من البلاد ويبيعونه بارباح فائضة .

ان العفص وهو كثير في جبال كردستان يحمله الوصليون بمقادير كبيرة الى حلب لبيعه على التجار الاوربيين ولابتياع الاجواخ والاقمشة والنيل وغيرها من البضائع الاوروبية باثمانه . وتستورد كميات من النيل سنوياً من حلب الى الموصل ما يربو ثمنه على الف غرش . واعتقد انه

---

(١) التقصير في اللغة معناه دق الثوب وتبييضه وهوما يعبر عنه باللهجة العامية بالقصر .

يستهلك كله في هذه المدينة لصبغ المنسوجات باشكال شتى .

ويلاحظ ان الموصل عدا فروع تجارتها المختلفة ، انها تستفيد من موقعها الجغرافي المتوسط بين الجهات : فتأتيها الاعراب من البادية والاكراد من الجبال ويبتاعون منها ما يحتاجونه . وللسفر منها الى ايران يكفي اجتياز الجبال وكذا الى بغداد يكون السير منها سهلا بالبر واكثر سهولة منه بالنهر ومن بغداد فالبصرة فالهند كما يفعل كثير من التجار . والبضائع التي تجيء بها القوافل من ايران والهند الى المملكة العثمانية تمر بالموصل ، كما وانه لا بد ان تمر بها البضائع التي تنقل من الاقطار العليا الشمالية الى الاقطار السفلى الجنوبية .

وبنتيجة هذه المميزات كانت ثروة الموصل على جانب من الاهمية ولكانت ثروتها اعظم لو انتظم فيها الحكم ولم تكن مطمحاً لاستبداد حكام لا هم لهم سوى البحث عن الاغنياء وتحري ثرواتهم للتوسل الى الاستيلاء عليها كلها او بعضها .

٨ — الادارة

ان الباب العالي هو الذي يرسل باشا الموصل ، ولكنه كثيراً ما كان يضطر ، حذراً من اغاظة باشا بغداد ، الى عزل اونصب من يطلب هذا الباشا اقصاءه اوتوليته . والحقيقة هي ان كل باشا يأتي الموصل وهو غريب عنها ، لا يكون له فيها من السلطة الا بقدر ما يسمح له بها الوجوه المتنفذون في البلدة . وهؤلاء حسب رغباتهم يثيرون الشعب على الباشا او يلقون

الشقاق بين الينجرية (١) كي يقتتلوا بينهم بحيث يبقى الباشا في السراي (٢) غير قادر على استعمال سلطته .

ولقد وقعت فتن كثيرة اثناء اقامتي الطويلة فى الموصل . فتارة كان الشعب يثور على الباشا ، وطوراً كانت اورطات الينجرية يقاتل بعضهم بعضاً ، او ان المدينة كانت تنقسم الى فريقين متحاربين ، وكثيراً ما كان الانقسام يقع بين اغوات آل عبد الجليل انفسهم .

ارتقت هذه الاسرة في زماننا وخاصة منذ بدء الحرب مع الايرانيين حتى اليوم . كان عبد الجليل نسطورياً ثم اسلم هو واولاده الخمسة ، وكانوا من الابطال الشجعان . تزوج بعضهم وصار لهم اولاد كثيرون وتناسل اولادهم وأثروا بسرعة ، بعضهم بالصناعة والبعض الآخر بالشدة فخافتهم البلدة كلها . واعانوا الجيش العثماني فى الحرب الايرانية اعانات جزيلة وأدوا له خدمات جلى ، وعلى هذا نصب احدهم وهو المسمى اسماعيل

---

(١) الينجرية « الانكشارية » كلمة مشتقة من التركية « يكيجري » معناها : العسكر الجديد . وهي فرقة انشأها السلطان اورخان العثماني (١٣٢٦ - ١٣٥٩ م) وعني بتدريبها حتى صارت اهم فرقة فى الجيش لا مثيل لها فى القوة والاقدام والمرونة في الحرب . لكن لما طال عليها الامد اخذت تستأثر بالسلطة واساءت استعمالها ، واصبحت منبع الشغب والقلاقل في الدولة ، مما اضطر السلطان محمود الثاني ان يقضي عليها سنة ١٨٣٦ م (١٢٤١ هـ) .

(٢) السراي هو دار الحكومة .

باشا على الموصل ثم ابنه حسين باشا . وبعد دفاع هذا عن الموصل خلعت رتبة الباشوية على ولديه مراد وامين . ولما كان امين باشا في الحرب مع الروس وقع اسيراً عندهم ، فانعم بالباشوية على عمه فتاح باشا ايضاً واخيراً على ابنه سليمان . وهكذا وجهت الباشوية الى ستة منهم في اقل من خمسين سنة ، الامر الذي لم يسبق له مثيل في الدولة العثمانية .

وكان كلما كثر افراد هذه الاسرة ازدادوا انقساماً ، ويغلب على الظن انهم بلغوا اكثر من خمسة عشر بيتاً . وفي حالات صلحهم ووفاقهم مع بعضهم كانوا مهيبي الجانب ، ينقاد لهم اكابر البلدة ويخضعون لسلطتهم استغالة . وفي زماني دب الخلاف بينهم بفعل فتاح باشا ، فآذى بعضهم بعضاً كثيراً وتعدت الاذية الى المتحزبين لهم ومع ذلك لبث باشا الموصل للاسباب المذكورة ينتخب من بين اعضاء اسرة عبد الجليل التي هي وحدها تسيطر على الدجرية وعلى الشعب وتمارس سلطتها او حكمها كما تشاء وحسب الظروف من غير ان يجرأ احد على مخالفة اوامرهم (١) .

---

(١) الكتاب الاول ، الفصل الثاني والثلاثون .

جوار الموصل

جوار الموصل

١ — اسكي موصل

كانت المدينة كبيرة ويشاهد حتى يومنا هذا آثار اسوار كانت تحيط بها وآثار دور مندرسة ، رأيت في بعضها صلباناً ، تحملني على الظن انها من آثار اديرة وكنائس (١) .

٢ — نينوى ـ النبي يونس

ان بعض المؤلفين الاوروبيين من المعاصرين توهموا ان مدينة نينوى الشهيرة التي يذكرها الكتاب المقدس مراراً عديدة ليست مقابل الموصل الحالية على الضفة الثانية لدجلة من الجهة الشرقية كما يظن اهل المدينة غالباً . ويقول هؤلاء المؤلفون انها كانت على هذه الضفة (حيث مدينة الموصل) على مسيرة نحو اثنتي عشرة ساعة من مدينة الموصل حيث يشاهد حتى يومنا هذا خرائب مدينة قديمة تدعى اسكي موصل اي الموصل القديمة وقد سبق لنا ذكرها .

ذهبت كثيراً اليها ، والاحظ انها من المستحيل ان تكون مدينة نينوى قائمة هناك ، لانه بالقرب من اخربة المدينة المذكورة (اسكي موصل) تشاهد حتى اليوم الاسوار التي كانت تحيط بها من الجهة الواحدة :

(١) الكتاب الاول الفصل الحادي والثلاثون .

نهر دجلة ومن الجهة الاخرى نشز ممتد ومقلع لايظهر فيه اثر لبنايات سابقة . وبالعكس ففي الجهة المقابلة للموصل على الضفة الثانية على ما يظن كانت مبنية نينوى عاصمة الآشوريين حيث انذر يونان النبي والآن تقوم قرية تدعى « نبي يونس » يشاهد حواليها مرتفعات على شكل قلاع فيها آثار اسس اسوار وحولها سهول كانت المدينة منتشرة عليها ، وسنداً لهذا الرأي يمكننا ان نذكر التقليد الذي توارثته هذه الشعوب التي سمعت وقرأت في كتب اجدادها عن موقع نينوى .

قرأت في تاريخ قديم للنساطرة عن احد الاساقفة المدعو حنانيشوع ما يلي : « دفن في نينوى بالقرب من باب النهر مقابل الموصل ». اذاً فمدينة نينوى القديمة ـ اذا صدقنا هذه الشهادات وغيرها من الشهادات القديمة ـ كانت على الضفة الاخرى من النهر مقابل الموصل وليست اسكي موصل .

ويغلب على ظني بان نينوى القديمة كانت كما هي عليه الآن بغداد اي ان القسم الاكبر منها كان على الجانب الثاني من النهر ولكنها كانت تمتد الى هذا الجانب الذي عليه الموصل ايضاً . وانها انقسمت فيما بعد الى قسمين بسبب ما طرأ عليها من الانقلابات بتعاقب الحوادث والحكام . وان القسم الذي على هذا الجانب من النهر ـ اي الموصل ـ كان ينمو نمواً متناسباً مع مختلف الحوادث التي كانت تؤدي الى تقلص الجانب الآخر اي نينوى . وبان انه لهذا السبب ورد ذكرهما منفصلتين في التواريخ القديمة . ومهما يكن فان الاعتقاد السائد عن نينوى انها

كانت حيث توجد اليوم قرية صغيرة يزورها الاتراك افواجا ليكرموا هناك قبراً يزعمون انه قبر النبي يونس ، بيد اني وجدت في تاريخ النساطرة ان هذا القبر هو لاحد اساقفتهم(١) الذي يكرمونه كقديس (٢) .

٣ — كرمليس

بعد وصولي الوصل بقليل (٣) ، اردت زيارة القرى المجاورة لتفقد احوال المسيحيين الكثيري العدد فيها ولمشاهدة الخربات الاثرية اذ كان اكثر هذه القرى مشيداً على انقاض مدن قديمة معروفة في تاريخ الشرق .

في شهر آب سنة ١٧٦٥ دعاني بعض اصدقائي من آل عبيد اغا (٤) لمرافقتهم الى قرية اسمها كرمليس مأهولة بالمسيحيين ، وهذه القرية من املاكهم ، ذات واردات كبيرة . وتبعد عن الوصل مسير خمس ساعات شرقاً وهي ما تبقى من المدينة القديمة . ويمكن مشاهدة بعض آثار فيها هنا

(١) ان هذا القبر هو لمار حنايشوع البطريرك (٩٩٧ ، عزل ١٠٠٤ وتوفى ١٠١١) . راجع كتاب المجدل لعمر بن متى ، طبعة جيسموندي ، روما ١٨٩٦ .

(٢) الكتاب الاول ، الفصل الثاني والثلاثون .

(٣) يشير الى اقامته الثانية في الوصل سنة ١٧٦٥ .

(٤) « ان آل عبيد اغا هم من عائلة آل عبد الجليل ، وهم البيت الاكثر عدداً وصولة بعد بيت الباشا » . ﴿المؤلف﴾

وهناك . ولقد ورد ذكرها في تاريخ النساطرة حيث قيل انها كانت مركز اسقف نسطوري .

بالقرب من القرية تل صغير ، كانت المدينة مبنية عليه وحواليه ويشاهد عند اقدام هذا التل اثر كنيسة على اسم القديسة الشهيدة بربارة هجرها الهراطقة من مدة طويلة فاتخذها كاثوليك القرية للصلوة والعبادة واهتموا بها شيئاً فشيئاً حتى جعلوها كنيسة يقيمون فيها الاسرار المقدسة . ولقد اقمت فيها القداس اليوم التالي لوصولي .

٤ — دير الشيخ متى

مكثنا في تلك القرية يومين ثم ذهبنا سوية الى زيارة دير لليعاقبة يدعى « مار متى » يقصده الاتراك والمسيحيون في الصيف لتبديل الهواء . يجثم هذا الدير على قمة جبل عال ، يتعذر على الفارس التسلق اليه لوعورته . تجدد قبل سنين قلائل بهمة البطريرك كوركيس الموصلي الاصل : الذي كان سابقاً مفرياناً (١) . يسكن الدير فى الغالب ثلاثه او اربعة رهبان ، مع انه كان من اشهر اديرة اليعاقبة ، وكان مأهولا بعدد كبير من الرهبان اشتهر فيهم عدة كتبة اجلاء معروفين في تاريخهم .

---

(١) هو البطريرك كوركيس الاول ١٦٨٧ - ١٧٠٨ . طالع اخبار هذا البطريرك فى كتاب «ذخيرة الاذهان» لمؤلفه العلامة القس بطرس نصري ، المجلد الثانى ، الموصل ١٩١٣ ؛ صحيفة ٢٦٥ - ٢٧٤ .

يشاهد المرء حوالي الدير آثار صوامع قديمة للرهبان ومخازن عديدة لحفظ الماء بالقرب من قمة الجبل كالصهريج المجاور للدير المنقور في الصخر لخزن الماء طيلة السنة ، والكهف الكبير المنقور في الجبل نفسه ، يقطر منه ماء عذب في حوض كبير يستعملونه لمختلف الحاجات .

كنيسة الدير هي على الطراز القديم ، ويمكننا القول انها واسعة بالنسبة الى باقي الكنائس . وامام مدخل الكنيسة يقوم رواق لمأوى الغرباء وهناك بالقرب من المذبح الكبير معبد صغير حسب عادة كنائس هذه البلاد يدعى « بيت القديسين » وهو مكان تحفظ فيه ذخائر واجساد القديسين : فيه ثلاثة او اربعة قبور من الرمر الاسود مبنية في الحائط ، مغطاة بستار منقوش وعلى كل منها تاريخها منقور باللغة السريانية ويوقد قنديل امامها ليلاونهاراً . ظننت انني بواسطة هذه التواريخ سأتوصل الى معرفة الشيخ متى شفيع الدير اوبعض رجاله المشاهير ، فطلبت الى شماس هناك تفسيرها ، لكنني وجدتها قبور اساقفة ، اقدمهم عاش سنة ١٤٠٠ ، وفي زمانه تم تعبيد الطريق المؤدية الى الدير . وتجددت على عهد الاثنين الاخرين مع بعض ترميمات اخرى . والشعب يكرمهم كقديسين ولذلك يوقدون دوماً امام اجداثهم القنديل المذكور . وفي سنة ١٧٦٠ توفي مار لعازر مفريان اليعاقبة على الموصل ودفن في ذلك المعبد مقابل الباب وقبره مزين كباقي القبور مغطى بستار ابيض جميل (١) .

---

(١) الكتاب الثاني ، الفصل السابع .

٥ — دير مار بهنام

زرت بمعية بعض المسيحيين ديراً لليعاقبة يدعى « خضر الياس ». يبعد هذا الدير عن الموصل ما يقرب الست ساعات بالقرب من قرية قرهقوش. ان هذا الدير واسع الاطراف يحيط به حائط عال ؛ في وسطه كنيسة على الطراز القديم ، مزينة بعدة صور قديسين على شكل فرسان مساحين بالحراب ، كما اعتاد الرسامون ان يصوروا القديس كيوركيس. وبالقرب من الكنيسة غرف حقيرة لسكنى الرهبان - اثنين اوثلاثة - وللاضياف من الغرباء الذين يأتون الدير. اما الزوار الذين يزورون الدير مدفوعين بعوامل العبادة في بعض مواسم السنة ، فيحتمون في الكنيسة من حر النهار وفي الليل يلتحفون السماء حسب عادة البلاد.

بالقرب من الدير اثر جميل لبناية قديمة ، وهو اليوم تحت الارض. ومن المحتمل ان بناية ضخمة كانت تعلوه. يدخل المرء الى هذا القبو من باب منخفض ضيق ، وعلو البناية يزيد قليلا عن قامة انسان ، شكلها مدور او بالاحرى مثمن الزوايا بحجم اربعين قدماً على وجه التقريب. حيطانها مغطاة بالمرمر الاسود الجميل المزخرف وهناك عدة اعمدة ضخمة داخلة في البناء من المرمر عينه. ويحتمل حسبما روى بعضهم ان احد سراة التجار من المواطنين شيد هذا القسم المذكور بعد عودته من بلاد الهند واراد ان يدفن فيه (١).

---

(١) الكتاب الثاني ، الفصل الثامن.

٦ — نمرود ـ سلامية

ثم قصدت قرية نمرود على مسافة ساعتين تقريباً ، وسكانها اتراك ينتسبون الى احد الاغوات وهو من اعز اصدقائي . لقد خاطرت بذهابي بالرغم من ان هذه الاماكن هي مأوى لكثير من الاشقياء وقطاع الطرق من الاعراب ، رغبة مني في رؤية التماثيل المرمرية الجبارة التي سمعت عنها مراراً.

وتبعد القرية قليلا عن دجلة ، وهي غنية بخصب اراضيها ، ويظن انها اخذت اسمها من اسم مدينة قديمة قائمة انقاضها قريباً منها ، اسسها نمرود الجبار ويرد ذكرها في الفصل العاشر من سفر التكوين .

تبعد المدينة القديمة عن نمرود الحالية زهاء نصف ساعة . ويشاهد المرء في منتصف الطريق قبوراً للاتراك يعلو بعضها قطع من المرمر الابيض عليها صور بشرية كبيرة الحجم ، وهذه هي التماثيل التي حدثوني عنها ! خاب املي من وجود تماثيل قديمة ومن العثور على اثر قديم . ففكرت ما عسى ان تكون تلك الصور على هذه القبور وفي اي زمن نحتت ، فلم ار ولم اسمع قط ان صوراً بشرية نحتت على قبور الاتراك (١) ، بل ينقش في الغالب آلات حربية اوقطعة من الثوب الدال على الدين . تأملت تلك الصور ذات الزي الشرقي ، فلاح لي ان هذه القرية : اما كانت في القدم مأهولة

---

(١) ان كلمة « تركي » بالايطالية غالباً ماتشير الى « المسلم » . لكننا احتفظنا في ترجمتنا بنفس الكلمة الايطالية .

بالمسيحيين اوان تلك التواريخ ترتقي الى زمن ماقبل الاسلام . ولكنه ورد عن بعض خلفاء بغداد الاقدمين انهم كانوا ينقشون صورهم اوغيرها من الصور على المسكوكات ، وهكذا فيكون الاتراك قد اعتادوا حينذاك ان ينحتوا صوراً بشرية فوق القبور .

واصلنا مسيرنا فبلغنا الى المحل الذي يسمونه نمرود القديمة. لاشك ان هناك كان موقع مدينة صغيرة او قلعة كبيرة . فى ذلك السهل الواسع ترى هضبة مرتفعة عن الارض يغلب عندي انها أثر مرتفع كالمرتفعات التي تشاهد فى اراضي ما بين النهرين الى يومنا هذا . ولكي يسهلوا بناء المدينة او القلعة فوق هذا المرتفع سطحوه بعلو معين وبشكل مربع متساو في الطول والعرض ، تبقى منه منبسط بديع يمكن استخدامه اليوم بديلا من السور ، اذ هو من الجهة الخارجية سطح اشبه بسطوح قلاعنا يفوق بعلوه سطح المدينة المذكور كما هي السطوح حول القلاع في اوروبا ، لوقاية الاهلين من ضربات العدو وللتخفي عن انظارهم. وفي احدى زوايا المدينة فوق السطح يشاهد أثر برج متهدم ينسبه الاهلون الى نمرود . وأروني حوالي البرج بعض صخور صغيرة مسننة بشكل اسهم يدعون ان نمرود كان يستعملها للحرب وللصيد .

قضينا النهار كله هناك ثم قفلنا راجعين الى الموصل عن طريق أخرى محاذية للنهر . وبعد مسير ساعة وصلنا الى قرية كبيرة للاتراك اسمها سلامية مبنية على منحدر تل صغير ، بيوتها حسنة البناء . والقرية من اغنى

القرى لخصب اراضيها وقرب مجرى دجلة منها ، فهم يستفيدون منه لري الاراضي .

٧ — حمام العليل

مقابل هذه القرية جنوبي دجلة تشاهد الحمام المدعوة حمام علي (١) . زرتها عدة مرات اخرى في السنين النائية لعيادة مريض من الوجوه . وتقع هذه الحمام على ضفة دجلة . مياهها الكثيرة الغليان تأتيها من جهة الصحراء ، بحيث انك اذا مشيت مسيرة ساعة وحفرت الارض بمقدار ذراع وجدت المياه حارة كأنها غليت في مراجل . ينقذف مع تلك المياه القار (القير) ، اذا صفيته ترسب كالزفت ، يستعمله الموصليون لتزفيت مخازن غلالهم تحت الارض كيلا تؤثر فيها الرطوبة ويصدرونه الى الخارج لمختلف الحاجات . واظن ان القدماء كانوا يستعملون هذا الزفت في بناياتهم .

اشتهرت هذه الحمامات منذ القديم بملاءمتها للصحة وبشفائها الامراض وبما ان ضفة النهر هنا هي اعلى من الضفة المقابلة ، فقد حفر الاهلون بركة كبيرة عميقة بالقرب من ضفة النهر يتدفق منها الماء . وبالقرب من هذه الحفرة بنى الاقدمون بناية كبيرة لم يبق منها الا القسم الاساسي ، وهو عبارة عن سور كبير مدور الشكل تعلوه القباب . ولكي تتوفر للاهلين اسباب

---

(١) ان المؤرخ يورد اسم القرية حسبما كان استعماله دارجاً بين العامة . ولازال اليوم ايضاً الاهلون يسمون الحمام بهذا الاسم نفسه اي « حمام علي » .

الراحة ، ولكي يستطيع الاستحمام العدد الاكبر من المستشفين والمصطافين ، بني درج حتى اسفل الحفرة ليتمكن المرء من الغطس قدر ما يشاء . ولو ان المنازل المجاورة كانت باقية على ما كانت عليه من قبل ؛ لتمكن الجميع من الاستفادة من هذه المياه في كل فصول السنة . لكن بما انه لم تبق في اداخل منازل يأوون اليها بعد الاستحمام ، فقد اقتصر استعمالها (اي الحمامات) على فصل الصيف .

بقي الحمام مهملا لا يهتم به احد كما يجب وذلك لخلو المكان من السكان وخشية من الاشقياء . وفي كل سنة في شهر ايار يؤمه العمال لتنظيف المياه ولاعداد منازل على شكل خصاص مقسمة على عدة غرف كافية لسكنى آلاف الاشخاص الذين يقصدونه كل سنة انتجاعا للراحة وطلباً للاستشفاء .

اعتاد الاهلون نقل مرضاهم الى هذه الحمامات معتقدين انها علاج لجميع الاسقام . لكنني بعد اختباري الطويل وجدت ان هذه المياه مضرة وقتالة للمصابين بالرئة والكبد . اما لباقي الامراض الخارجية فيمكن ان تكون شافية او مخففة للمرض حيث تتم المعالجة بعدها بعقاقير طبية . وهكذا قل عن الامراض العصبية وغيرها من الامراض التي تبقى في الاعضاء على اثر كسر او انخلاع او تعب مفرط او اختلاط سوائل .

ان الطريق المفضية من حمام علي الى الموصل صعبة ومخطرة نظراً لوعورتها ولما فيها من الانشاز والوديان ، حتى انه ليتعذر على السائر الركوب في القسم الاكبر منها . والطريق غير مأهولة بالقرى سوى قرية صغيرة

للاعراب تبعد قليلا عن الحمام . اما الضفة المقابلة من السلامية الى الموصل ، فالطريق سهلة والاراضي مزروعة تكثر عليها القرى العائدة للاتراك .

٨ — دير مار كيوركيس

اثناء اقامتي فى الموصل زرت عدة مرار ديرين للنساطرة قريبين من المدينة ، احدهما هو دير مار كيوركيس الواقع على الضفة الثانية من دجلة ، ويبعد عن خربات نينوى القديمة نحو فرسخ ، وهو مبني على تل يقع فى وسط سهل ، يحيط به حائط مرتفع وفي وسطه كنيسة صغيرة . وقد دفن فيها بامر الباشا سنة ١٧٥٣ الاب الدومينيكي دومينيكو كايتانو كوداليأونجيني (*Codaleoncini*) رغم النساطرة الذين كانوا يدعون ان دفن الموتى في الكنيسة امر مخالف لعاداتهم (١) . وبالقرب من الكنيسة دار صغيرة لسكنى الحارس ، وكان هذا شماساً نسطورياً يعيش من الصدقات التى كانت تقدم للدير . وقسم من هؤلاء السدنة كانوا يثرون بما تجود عليهم اكف الزائرين .

٩ — دير مار ايليا

والدير الثاني هو دير مار ايليا الواقع على جهة الموصل من النهر وجهة حمام علي . يبعد عن المدينة ما يقرب من ساعتين ، وهو محاط بسور

(١) لاصحة للقول بان عادة دفن الموتى فى مقابر داخل الكنيسة لم يكن جارياً عند النساطرة على ما هو ثابت عندنا من التاريخ قديماً .

عال كالقلاع القديمة وفي وسطه كنيسة كبيرة مائلة الى الانهدام . وحوالي الكنيسة آثار منازل وصهاريج . يلوح لي انه كان مأهولا بعدد كبير من الرهبان . وحسبما عرفت من الموصليين انه كان عامراً بالرهبان وكانت الكنيسة مستعملة حتى حصار طهماسب كلي خان للموصل ، اذ ان الجيش الفارسي كان قد دخل الدير ودمره وتركه على ما هو عليه اليوم من التصدع : فالكنيسة ساقطة ، والمنازل خربة ، والحيطان الخارجية مهدومة في عدة اماكن (١) . وقد اصبح اليوم مأوى للصوص وقطاع الطرق في تلك الناحية (٢) .



---

(١) طالع « تاريخ الموصل » لمؤلفه العلامة القس سليمان صائغ ، الجزء الاول ، صحيفة ٢٧٥ ـ عن الطاغية طهماسب نادرشاه وايفاده وزيره نرجس خان الى الموصل والتخريبات التي احدثها في طريقه ومنها دير مار ايليا او دير سعيد.

(٢) الكتاب الثاني ، الفصل التاسع.

الحوادث التاريخية

الحوادث التاريخية

حصار طهماسب كلي خان للموصل (١٧٤٢)

لما قدم طهماسب كلي خان هذا القطر بجيش جرار للاستيلاء على الموصل لجأ اليها عدد كبير من العرب والاكراد والاتراك ومن نصارى القرى المجاورة وتحالفوا على الدفاع عنها فى حفلة اقاموها ، وصاروا جميعاً يحفرون الخنادق المحيطة بسور المدينة ويبنون بالجص والحجارة الاجزاء المتصدعة منه . ولما اقترب جيش العدو ، سدوا ابواب المدينة باسوار واخذ الاهلون على اختلاف طبقاتهم يتهيأون للدفاع تحت ادارة حسين باشا (١) وغيره من السادة الجليليين الذين كانوا في مقدمة المدافعين .

ولما اقترب الفرس من الموصل جمع حسين باشا الناس وقام فيهم خطيباً حاثاً اياهم بكلام مؤثر على الدفاع عن المدينة ، وعندها حلفوا جميعاً انهم لايحجمون عن خوض غمرات الاخطار والمهالك فى سبيل انقاذ وطنهم وانهم اذا غلبهم الفرس يتعهد من بقى حياً منهم بقتل جميع نساء المدينة كيلا يقعن بيد الفرس (٢) .

---

(١) هو الحاج حسين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي (١١٠٨ - ١١٧١ هـ ١٦٩٤ - ١٧٥٨ م) .

(٢) ان هذه الفقرة هي ذيل للمؤلف ، ادخلناه فى المتن .

احاط الفرس بالموصل من جميع الجهات ، وبعد ان نصبوا مدافعهم اطلقوا عليها نيفاً واربعين قنبلة ، وبالمدافع هدموا السور واحدثوا فيه ثلمة ، وفي الوقت عينه وضعوا الغاماً كثيرة لهدم السور واضرموا فيها النار ، ثم هجموا خمس هجمات عنيفة جداً للتغلب على الاهالي المحصورين . غير ان هؤلاء — وقد وطنوا انفسهم على الموت دون دخول الايرانيين منازلهم — ردوهم دوماً على اعقابهم ببسالة نادرة وكبدوهم خسائر جمة . وبعد ان ضرب هؤلاء الحصون بشدة — ولكن بغير نظام كثير — مدة اثنين واربعين يوماً فقدوا كثيراً من رجالهم ونبالهم ، ثم رجعوا يجرون اذيال الخيبة دون ان ينالوا من المحاصرين قلامة ظفر بعد ان كانوا قد اعتزموا سلبهم (١) .

سنة ١٧٥٦

النزاع بين مصطفى اغا وفتاح بك

وقع في السنين الاخيرة خصام بين سيدين كبيرين من آل عبد الجليل لكنه فتر بتأثير حسين باشا الذي كان اخا احدهم لاب وزوج اخت الآخر . ولما كان حسين باشا بعيداً جداً ، عادت اسباب الخلاف واتسعت الى درجة

(١) الكتاب الاول ، الفصل الثاني والثلاثون . طالع وصف هذه الواقعة في « تاريخ الموصل » للعلامة القس سليمان صائغ ، الجزء الاول ص ٢٧٨ — ٢٩٠ .

رأى معها امين پاشا (١) (الذي كان ابن اخي احدهم وصهر الآخر) ان من الصواب الا يتدخل في النزاع خوفاً من ان لا يرضيا بحكمه فيضطر عندها الى استعمال القوة بحقهما . لذا التجأ كلاهما الى سليمان پاشا (٢) والي بغداد ، وكان كل منهما يذعن لسلطته ويتظاهر بصداقته وحمايته . فتلقاهما هذا الباشا بمزيد الاحترام . ولما وقف على شكايتهما المتقابلة اظهر رغبته في التوفيق بينهما صلحاً حرمة لمقام اسرتهما الجليلية . لكن كلا من المتخاصمين كان قد اعتزم النيل من غريمه وصار يعمل للوصول الى هذه الغاية . وكان احدهما وهو المسمى مصطفى اغا (٣) اكثر ثروة من خصمه المدعو فتاح بك (٤) ، فصار يقدم للباشا ولجميع رجال سرايه هدايا جزيلة بغير حساب — ذلك السراي الذي كان ولا ريب من افخم وابهى السرايات في الدولة — وكان فتاح بك ايضاً يهدي مايستطيعه لحاشية الباشا . وكان اكثر حيلة ومكراً من خصمه ، فجعله ينفق مبالغ جسيمة .

---

(١) هو محمد امين پاشا ابن الحاج حسين پاشا (١١٣٢ — ١١٧٥ هـ ١٧١٩ — ١٧٧١ م)

(٢) هو سليمان پاشا ابو ليلى ، وهو اول الولاة للمماليك في بغداد (١١٦٣ — ١١٧٥هـ ١٧٤٩ — ١٧٦١ م)

(٣) توفي هذا الاغا سنة (١١٧١ هـ ١٧٥٧ م)

(٤) هو عبد الفتاح پاشا ابن اسماعيل پاشا ، اخو الحاج حسين پاشا لاب (١١٣٢ — ١١٨٥ هـ ١٧٢٩ — ١٧٧٢ م) .

واخيراً اضطرا على قبول شروط الصلح التي املاها عليهما الباشا ، مع الزامهما بتقديم مبالغ اخرى كبيرة من الدراهم للباشا ولكبار حاشيته عاجلا .

فعادا الى الموصل واضطرا الى بيع مقدار عظيم من الحبوب التي كانا قد خزناها منذ سنين تحت الارض على عادة اهل البلد ، ليتداركا المبالغ الطائلة التي يحتاجان اليها لنيل التفات باشا بغداد وادامة صداقته . فنقلت معظم الحبوب الى الاكراد الذين كانوا بحاجة اليها . وشاءت الصدف بعد اخراج هذه الحبوب ، ان يزحف الجراد تلك السنة ويفني جميع الزروع فحدث غلاء لان الحبوب وان كانت موجودة عند آخرين بمقدار كافية الا انهم اخفوها ليبيعوها بعد ذلك كيفما شاءوا .

ان نقصان ثروة هذين السيدين لم تقلل تباغضهما بل على العكس كان كل منهما يسعى لتأليف حزب اقوى ليسحق خصمه . وادرك فتاح بك ان امين باشا كان يساعد حماه مصطفى اغا ضده فاغتاظ غيظاً شديداً واخذ يقدح بالباشا وبمن يلوذ به بعد ان استمال الى جانبه بيتين كبيرين آخرين من اسرة عبد الجليل وكثيرين من رؤساء الينجرية .

ولما علم امين باشا بذلك ذهب مع رجاله وهجم عليه في داره (١) فسد عليه الباب وشرع مع مائتي رجل كانوا معه بمقاتلة الهاجمين . ولما انتشر الخبر في المدينة انظم معظم الاهالي الى الباشا ، اما اتباع فتاح

---

(١) هي دار الحاج حسين باشا ومن بعده دار الوجيه السيد ناظم العمري القديمة وتقع بالقرب من دار صديق بك الجليلي الحالية .

بك فلم يتمكنوا من مساعدته . تبادل الفريقان اطلاق النار بكثرة طيلة النهار والليل تقريباً . ورأى فتاح بك نفسه محاطاً بجمع غفير من الاهالي ففكر في انقاذ نفسه بالهرب ، فثقب في آخر الليل جداراً ودخل داراً مجاورة ومنها عبر الى موضع آخر حتى التجأ هو ونفر من جماعته الى دار اخرى له كائنة على سور المدينة بقرب باب البيض (١) . فلما احس مهاجموه بهربه هرعوا يبحثون عنه في جميع الاطراف . ولما علموا بمحله حاصروه من جديد وعادوا الى قتاله حتى الظهر ، عندها ارتمى احد الاغوات من الاسرة نفسها — وكان شيخاً حكيما عاقلا — على قدمي الباشا واستعطفه ان يبقي على حياة فتاح بك وابناء اخوته الذين كانوا متفقين معه ، لكنه لقي اصراراً شديداً لان الاغوات الموالين للباشا كانوا يعرفون شدة فتاح بك ومكره واعتداده بنفسه . وكانوا لذلك يرومون

---

(١) هو الباب الغربي لمدينة الموصل ويقع مقابل محطة القطار . « باب البيض » هو تحريف « باب الماء الابيض » نسبة الى الماء الواقع غربي المدينة على بعد نحو ساعة ونصف بين « البوسيف » و « العذبة » . وسمي كذلك لكثرة كبريته الابيض . طالع « تاريخ الموصل » الجزء الاول ، ص ٣٦ . ويرى الاستاذ سعيد الديوه‌جي انه سمي بهذا الاسم اذ كان يؤدي الى سوق البيض . طالع « سور الموصل » في مجلة « سومر » السنة الثالثة ، ص ١٢٥ . اما دار فتاح بك فهي اليوم مدرسة الحجيات مع الدار المجاورة لها في باب البيض

قتله خوفاً من ان ينتقم منهم فيما بعد . واخيراً عفا الباشا عنهم مشترطاً ان يغادروا المدينة حالاً ولا يجسروا على العودة اليها قط . فارتحلوا في اليوم عينه الى بغداد والتجأوا هناك الى الباشا طالبين انصافهم من امين باشا للظلم الذي زعموا انه لحقهم منه . فلما رأى الباشا نفسه معتبراً الى هذا الحد ، تملكته الخيلاء والزهو — وكان يخامره دوماً بعض الخوف من آل عبد الجليل — فتوسط لاستحصال العفو عن اللائذين به واستحصله فعلاً . فعادوا جميعاً بعد بضعة اشهر الى الموصل واستقبلوا استقبالاً حسناً لقاء الصداقة الكاذبة التي تظاهروا بها . لكن الحقد كان يملأ قلب فتاح بك على امين باشا واشياعه كما سنرى قريباً .

سنة ١٧٥٧

١ — تجمد نهر دجلة (١)

سكنت هذه القلاقل اخيراً بعد ان قتل فيها بعض . اشخاص . وجاء الشتاء وفيه اشتد البرد وقسا حتى ان نهر دجلة جمد تماماً في هذه الاصقاع ، وكانت القوافل تمر عليه بلا خوف طوال عشرين يوماً .

اظن انه لايرد ذكر برد كهذا في تواريخ هذه البلاد الحارة المناخ حيث لايشاهد تجمد وجه الماء الا نادراً جداً . وبسبب هذا البرد الهائل نفق عدد كبير من الحيوانات الوحشية والاهلية وهي ينابيع ثروة البلاد

---

(١) طالع « تاريخ الموصل » الجزء الاول ،ص ٢٩٠ .

وقوتها الى حد كبير . وتبع ذلك غلاء الاقوات فى ديار بكر وماردين وكل البلاد المجاورة اكثر مما في الموصل . فقد كان في الموصل غلة ولو بسعر غال . وكان خلق كثيرون يردون زرافات طلباً للطعام ، فامتلأت المدينة بالفقراء من اهل البلدة ومن اهالي القرى ومن الاماكن النائية . فكانت الحالة التي انحطوا اليها من بؤس وشقاء — حتى اضطروا معها الى بيع جميع امتعتهم بابخس الاثمان — تحرك في الانسان الشفقة والعطف . وانه لمما يفطر القلب ان آل بهم الحال الى ان يبيع الآباء اولادهم والازواج نسائهم لمد حياتهم مدة قصيرة ثم لايعتمون ان يفقدوها هالكين من آلام الجوع التي تزيد فيها قسوة الشتاء . وكانت جثثهم تبقى على قوارع الطرق بلا دفن الى ان يأتي من اهل الخير من يلقيها في دجلة غالباً . وكان كثير من الاتراك الذين آلمتهم هذه المناظر الكئيبة يوزعون مقداراً عظيما من الخبز والاطعمة الاخرى على زمر الفقراء ، فكان هؤلاء يزدحمون على الابواب . وصار الكل فى هذا الشتاء يسعفون من مستهم الحاجة .

ولما انقضى الشتاء ونبت العشب في اواخر شباط ، امر الباشا بالزام الفقراء الغرباء الخروج من البلدة لتخفيف الشقاء عنها . فسافر هؤلاء المساكين واتجه بعضهم الى بغداد والبعض نحو قرەجولان (١) بلا زاد ،

---

(١) قرەجولان قصبة قديمة من لواء السليمانية فى شمالها الشرقي ، تبعد عنها نحو ٢٥ كيلومتراً على الحدود الايرانية — كانت مقر الامراء من آل بابان قبل انشاء السليمانية .

وصاروا يقتاتون باعشاب البر كالبهم ، وخارت قوى كثير منهم مما عانوه من قبل في الشتاء ولم تبق لهم طاقة فصاروا يموتون جوعا والعشب في افواهم ، وتغطت البرية بعدد لايحصى من جثثهم .

٢ — الجراد والمجاعة العظيمة

ولما خفت الحالة قليلا بمغادرة الغرباء وقسم من الاهالي ايضاً وصار الناس يقتاتون بما يتيسر منتظرين الحصاد ، فجعوا بهجوم الجراد بكثرة هائلة جداً اتى معها على جميع الزروع في ايام قليلة . عندهـا ترك قسم كبير من الاهلين المدينة والقرى المجاورة ولجأ بعضهم الى بغداد والغير الى الولايات المجاورة او ايران واماكن ابعد منها . وكنت ترى الحقول وقد تغطت من جديد بجثث الهاربين . واما الذين بقوا في البلدة فصار يموت كل يوم عدد عظيم منهم حتى لكانت تبقى الجثث مطروحة في الازقة تأكلها الكلاب او تجر لتلقى في النهر . اضف الى كل هذا ان تفشت الحميات الخبيثة طيلة عام ١٧٥٧ هذا فامتلات البيوت بالمرضى والمقابر بالموتى .

ان الذين كانت حالتهم تمكنهم لم يحجموا عن انفاق الاموال لتحصيل ما كان ضروريا لاعالة ذويهم ، بل كانوا يذهبون اويرسلون الى قره جولان وايران وغيرها من الاماكن لجلب الحبوب . ولكن من المؤكد انه في خريف هذه السنة وشتائها لم يبع احد الحبوب علناً ، وسبب ذلك شره الاغنياء الذين كانوا يشترون الحبوب ويحتكرونها كي يبيعوها حسبما يحلو لهم وظلم الذين كانوا يضعون اليد عليها بالقوة . وكان من النادر وجود اشخاص يبيعونها في منازلهم ولو باثمان فاحشة .

ونجم عن هذا الشقاء كثرة السرقات التي كانت تقع يومياً ، ولم يترك اللصوص داراً ولا محلا الا وسطوا عليه حتى انهم سطوا على دارنا (١) وسرقوا بضعة اوان كانت فى المطبخ . على ان الفجع حقاً والداعي الى اشد العجب والدهشة رؤية آباء يبيعون ابناءهم وبناتهم لاي كان وبثمن بخس ، وبسهولة يبيعون نساءهم وكل عزيز لديهم لابين المسلمين فقط بل والمسيحيين ايضاً . ومع ذلك كانوا يجدون انفسهم بعد قليل جياعا كالسابق لايجدون مايخففون به شقاءهم ، وكانت تسمع ليل نهار اصوات الناس يستجدون الخبز وآخرين يجدفون وغيرهم يتمنون الموت للخلاص من الحياة التي كلها شقاء وعذاب . ولكن من يستطيع وصف جميع مصائب هذا الزمان والحوادث الغريبة والفظيعة التى جرت فى هذه الديار خلال فجائع كهذه !

ان من لم ير المشاهد الغريبة التي حدثت فى هذه الظروف لا يمكنه ان يصدق ما يقرأه فى هذه الرواية التاريخية او غيرها عن الفاجعات التي حدثت في الماضي ، ومما يبان للبعض اكثر غرابة هو ان الشعب وسط كل هذه الفاجعات والمصائب اصبح فى حالة اسوأ مما كان عليه قبلا ، كما حدث في اورشليم قبل خرابها . كما ان روح الثورة كانت سارية بين الاتراك ، وكان المسيحيون ايضاً منقسمين فيما بينهم .

---

(١) هي دار الآباء الدومينيكيين .

٣ — قدوم مصطفى باشا

وبينما كانت الاحوال تتوالى بهذه الصور المفجعة ، قدم الموصل في اول سنة ١٧٥٧ الباشا الجديد المسمى مصطفى (١) . وما كاد يستقر حتى خدعه فتاح بك بتشنيعاته واكاذيبه وسياسته فاظهر التفاتاً نحوه اكثر مما يجب فاساء الحال امين باشا جداً ، وكان منزوياً عن الحكم في داره ، فعزم على السفر مع جميع رجال داره واثنين من اقاربه للالتحاق بابيه حسين باشا الذي كان قد رقي الى ولاية كوتاهيه اولى ولايات الاناضول واهمها ، وقبل ان يسافر طلب الى ابن عمه اسعد اغا (٢) ان يحافظ على داره وعلى اتباعه وأمر هؤلاء ان يكونوا متحدين تابعين لاوامر اسعد اغا مهما حدث بحيث يبقى حزبه في الموصل مهيب الجانب كالسابق .

لقد دلت التجارب مراراً على عدم وجود من يستطيع ضبط امر الموصل غير آل عبد الجليل . فهل هذه الحقيقة ناجمة عن كون اهالي الموصل متمردين لا يريدون حكم الترك المطلق بل يبغون حريتهم العربية ام انها سياسة هذه الاسرة التي تحرك الاهالي سراً على القيام لاجل ازعاج الحكام الغرباء ؟ ان في هذا نظراً . فان لكل من الاحتمالين وجوهاً . ويمكن القول ان كلا هذين السببين هما العامل الحقيقي لهذه الفتن والشرور

---

(١) هو من الباشوات الاتراك . تولى حكم الموصل بضعة اشهر فقط .

(٢) هو الحاج اسعد اغا ابن عبيد اغا المتوفى سنة ١١٨٨هـ ١٧٧٤م .

الكثيرة . ومهما كان من الامر ، ففي هذه المرة ايضاً وبعد مغادرة امين باشا المدينة ، ثارت الينجرية الذين هم من حزبه على مصطفى باشا بحجة واهية وحاصروه ثلاثة ايام في السراي ولم يسمحوا لرجاله بالخروج . ثم بتوسط بعض الاغوات اعيد الصلح بالظاهر . ولكن بعد هذه الثورة الصغيرة ضعفت سطوة الباشا فلم يعد باستطاعته فرض الضرائب ظلماً على المسلمين ، وعجز حتى عن قمع الاشرار الذين كانوا قد كثروا وزادت سلطتهم في البلدة ونهائبهم خارجها . ولما عجز عن سلب المسلمين دراهمهم ، عمد الى النصارى واليهود مطالباً اياهم بمبالغ كثيرة بحجة انهم عمروا كنائسهم بعد حصار الموصل من قبل الايرانيين بدون استحصال الاجازات اللازمة ، ولم يفدهم للتخلص من هذه النقطة ابراز الفرامين المستحصلة من الباب العالي والمعطاة لهم لهذه الغاية ، بل ظلوا مدة يتجنبون الاقتراب من السراي خوفاً من زجهم في السجن حتى ان الذين تجاسروا منهم على التجوال اوقفوا حالا والقوا في السجن وعانوا فيها آلاما كثيرة واخيراً نجوا بتوسط الاتراك دون ان يعطوا الباشا شيئاً ولكنهم نفحوا الذين توسطوا لهم فقط .

٤ — وفاة اب كرملي

بعد انتهاء حادث النصارى واليهود هذا وصل الى الموصل ابوان من الكرمليين الحفاة في طريقهما الى ملبار ونزلا عندنا كالعادة . وصل احدهما — وكان فلامندي الاصل — وهو مصاب بالزحار (الديزانتري)

الشديد ، ولم ينجح فيه علاج فمات في ١٤ تشرين الاول مزوداً بجميع الاسرار ودفنته في فناء كنيسة القديس بطرس في قبر كان قبل خمسين سنة ونيف قد دفن فيه الاب بطرس الكوشي الشهير .

٥ — عزل مصطفى باشا ووكالة اسعد اغا

في آخر هذه السنة عزل مصطفى باشا عن ولاية الموصل التي اقلق فيها كثيراً دون ان يتمكن من استعمال سلطته . والانكى من ذلك ان اطواغه الثلاثة استعيدت منه ، وهذا ما لا يقع الا نادراً جداً عند الترك وهو علامة على سقوط المنزلة لدى السلطان . فاخفى سقوطه هذا قبل سفره وأوكل اسعد اغا على الولاية حتى وصول الوالي الجديد .

كان لهذا الاغا (اسعد اغا) نفوذ كبير واقتدار عظيم في البلدة حتى قبل ان يتولى ادارتها ، لان امين باشا — كما ذكرنا سابقاً — عند مغادرته الموصل كان قد فوض اليه جميع ادارة بيته الخارجية واوصاه باتباعه فضلا عن انه هو نفسه كان غنياً جداً ومعتزاً باسرته الكبيرة واخواله . فمنذ اعلن اسعد اغا حاكماً ، خضعت له البلدة جمعاء ، وصار يفعل ما يشاء بدون ادنى صعوبة . وكان مطاعا ومحترما اكثر من اي وال غريب (١)

---

(١) الكتاب الاول ، الفصل الثالث والثلاثون .

سنة ١٧٥٨

١ــ قدوم بهجت باشا الموصل والفتنة التي عقبت .

بعد اشهر قدم الموصل بهجت باشا (١) مع حاشية مؤلفة من بعض الخدم ، وكان ذا طوغين ولذلك لم يحترمه الناس بقدر حرمتهم لابسط اغا من اغوات البلدة . بقيت امور الولاية كلها بايدي بضعة رؤساء اغتنموا الفرصة للانتقام من اعدائهم . وبعد ان تآمروا سراً واتفقوا على كيفية العمل اثاروا خفية الينجرية ، وتفاقم الامر حتى آض حرباً بين فريق من البلدة يسمى « الميدان » (٢) وآخر يسمى « باب العراق » (٣) . دام القتال اياماً كثيرة لم يفتر خلالها اطلاق الرصاص من الفريقين ولكن لم يقع قتلى وجرحى كثيرون . وبعد قليل وقع صلح ظاهري ولا ادري كيف تم . لم يتدخل احد من آل عبد الجليل في هذه الفتنة علناً ولو انها كانت بتحريك بعض افرادها وخاصة فتاح بك الذي رأى ان الوقت قد حان للانتقام من اغوات الينجرية وكانوا قد انضموا الى امين باشا لما هجم مع رجاله المدججين بالسلاح وكانت النتيجة انه طرد من البلدة وتكبد

(١) هو من الباشوات الاتراك .

(٢) هي المحلة الواقعة شرقي الموصل وما زالت الى اليوم تعرف بمحلة الميدان.

(٣) هي محلة باب العراق الواقعة جنوبي الموصل وتسمى ايضاً محلة الشيخ محمد . طالع « تاريخ الموصل » الجزء الاول ، ص ٢٦٧ .

خسائر واهانات كما اسلفنا القول . فاتفق (فتاح بك) مع بهجت باشا ومع غيره من المتنفذين وكتبوا الى سليمان باشا كتاباً فيه يشكون اغوات الينجرية الذين كانوا من حزب الميدان . ولما وصل الكتاب الى سليمان باشا ارسل احد موظفيه تواً . يحمل الى بهجت باشا امراً آمرياً بجز رؤوس الاغوات المذكورين وفي مقدمتهم آمر القلعة (١) لانه اظهر حماساً اكثر من غيره لامين باشا ضد فتاح بك . وعند وصول هذا الموظف الى الموصل اسرع فسلم الكتاب الى بهجت باشا وهذا اوقف فتاح بك واتباعه على فحواه ، فارادوا التعجيل بتنفيذ الامر الوارد وارسلوا لهذه الغاية عدة رجال ليفاجئوا اغا القلعة وامروهم ان يقتلوه حيثما لقوه . بيد انه لما اقترب المكلفون بهذا الامر كان الاغا قد انذر سراً من قبل احد اصدقائه فاسرع في الالتجاء الى القلعة بعد ايصاد ابوابها . فلما وصل المبعوثون الى هناك بذلوا جهدهم لكي يسمح لهم بالدخول ، الا ان الاغا لم يأبه لمواعيدهم المعسولة واجابهم بشجاعة باسم جميع اغوات الينجرية انه يعلم بانهم محسوبون مجرمين لاتفاقهم مع امين باشا على سحق اعدائه ولهذا يفهمهم هو والاغوات الاخرون بانه لما كان سيف حسين باشا هو الذي انقذهم واهلهم واموالهم من جيش طهماسب كلي خان ملك ايران فانهم اعترافا

---

(١) موقعها عند باب القلعة المؤدي الى النهر ، ويرى الاستاذ الديوه جي ان انشاء هذا الباب كان مؤخراً اعني سنة ١٨٠١ م . طالع « سور الموصل » في مجلة « سومر » ، السنة الثالثة ص ١٢٣ .

بالجيل مستعدون لاراقة دمائهم وبذل كل ما يملكون في سبيل هذا الباشا وابنه امين باشا ، وبناء عليه فليفعلوا ما يشاؤون ، اما هو واتباعه فسيدافعون بمدافع القلعة والذخيرة التي لديهم .

امام هذا الاحتجاج انسحب موظف بغداد مع رجاله . وبادر الطرفان الى ارسال كتب الى سليمان باشا . وفي انتظارهم الجواب صار الجمع يتهيأون للقتال . ولما وقف باشا بغداد على ما جرى ، امر الذين بدأوا بالشكاية ان يدفعوا تسعة اكياس للموظف الذي انفذه اليهم وامرهم جميعاً بالمصالحة : والا فانه يوافيهم بنفسه ويعاقب المجرمين . عندما قرئت هذه الاوامر في محفل عام اظهر الجميع بحضور المأمور انقيادهم لها ، ولكنه ما كاد يغادر المدينة حتى هرع الطرفان في تلك الليلة عينها الى السلاح ، وهاجم اغوات الميدان فتاح بك في داره . اما هذا فلكي يقابل اعدائه الكثيري العدد ، جلب الى طرفه بدهائه وبوعود مغرية اشخاصاً كثيرين كانوا فيما سبق مرتبطين بامين باشا مع معظم الرؤساء الجليليين الذين كانوا في الموصل ، ثم استدعى لنجدته اهل باب العراق اعداء الميدان ، وملأ داره بالرجال واستولى على دور اخرى مجاورة وابتدأ الطرفان بحرب شعواء ، واستمر اطلاق النار ليل نهار . وكان الكل يؤكدون ان لم تقع في الموصل فتنة كهذه فيما مضى ولم يستهلك بارود بهذا المقدار حتى في حصار طهماسب كلي خان الشهير . ولم يبق مكان مكشوف امين قط لان الرصاص كان يمطر من كل جانب . ولقد يطول شرح جميع المصادمات والمفاجئات والنهب الذي كان يرتكبه الطرفان في البلدة وفي

الخارج . وكان يخشى ان تخرب البلدة من قبل الفريق الذي يغلب في النهاية . ووقع جرحى كثيرون وثلاثون قتيلا واستمرت الفتنة اثنين واربعين يوماً اي الى ١٥ ايار .

٢- تعيين الحاج حسين باشا على الموصل ووفاته فيها - انتشار الطاعون.

وفي ذلك اليوم ورد البريد مبشراً بتعيين الحاج حسين باشا على الموصل . والذي دهش له الناس كثيراً ارساله براءة لاخيه فتاح بك بنصبه والياً بقصد ان يستبقيه في الموصل . وبورود هذا الخبر انقطع اطلاق الرصاص فجأة وارتسم الخوف على الوجوه ، واخذ كل من الفريقين يفاخر بتمكنه من الانتساب الى الباشا ، وتحوط الفريقان ايضاً بالحراس خشية مفاجأة العدو ، ولكن لم يتجاوز احدهما على الآخر وكف فتاح بك عن ادارة حزب الميدان .

وعندما كان حسين باشا متجهاً الى الموصل انتشر الطاعون في المدينة منتقلا اليها من كردستان حيث اهلك الكثيرين ، لكنه لم يلحق ضرراً عظيماً بالبلدة ولم تطل مدته فيها وفي ذلك الوقت اراد فتاح بك ان يستجلب خاطر اخيه فارسل رجاله في استقباله مع زاد كثير وهيأ هدايا نفيسة قدمها له في ملاقاته اياه ومثله فعل كثير من الرؤساء المتنفذين .

دخل الباشا المدينة وسط احتفالات الشعب الذي كان يسميه باشاه واباه . اما هو فكان يظهر البشاشة للشعب والرزانة للرؤساء ، الامر

الذي كان ينم عن عزمه على ايقاع ضربة قاسية ، ولكنه لم يدع الناس يشعرون بما كان يفكر فيه . وهكذ بقي ثلاثة ايام لم يباشر بها عملا غير الاصغاء لما كان يقوله الفريق الواحد عن الفريق الاخر . وبعد هذه الايام الثلاثة ذهب الى السراي مستصحبا حاشية كبيرة وجمع جميع الاغوات للنظر في امرهم . وكان قسم كبير من جيشه واقفاً فى فناء السراي . وبعد مرافعات كثيرة اظهر سخطه على اخيه فتاح بك وتباعه صرفهم . ولم يكادوا يغادرون المحل حتى امر بحبس فتاح بك واسعد اغا واغوات آخرين من اغوات آل الجليل وعدد كبير من اتباعهم من اهل باب العراق ، ولم يأمر بحبس احد من الفريق الاخر اعني الميدان . وبهذا الحكم اظهر عظيم استيائه من الذين اتفقوا مع اعداء ابنه امين باشا او شايعوهم ، وتبين منه انه كان ناوياً قتل بضعة من رجال اسرته والتنكيل باخرين كيلا يقوموا او يجرأوا على القيام بعد على اي كان من آل بيته . ولهذه الغاية صادر حالا اموال اخيه وطلب من الاخرين كميات وافرة من النقود . وفيما كان يقوم بهذه الاجراءات وقع مريضاً فتأجل عقاب الموقوفين المهددين بتوسط اصدقائهم وبذلهم اموالهم . ثم نجو منها بوفاة حسين باشا وكانت بعد عشرين يوما لدخوله الموصل بتلك الحفاوة .

٣ — امين يخلف اباه فى ولاية الموصل

اما امين باشا فصار والياً بعد وفاة ابيه وجمع مؤتمراً من المفتي

والقاضي ورؤساء آخرين متنفذين كانوا باقين طليقين واستشارهم فيما ينبغي عمله بشأن الاغوات السجناء. فاشار عليه بعضهم بالعفو عن جميعهم سياسة فاعاد الى عمه فتاح بك كل ما كان قد صودر منه تقريباً واكتفى بما كان قد اخذ من اغوات اسرته قبلا، ولم يطلب منهم بقية الغرامة ولم ياخذ من الآخرين سوى مبالغ ضئيلة بحيث انه بعد اطلاق سراحهم اظهروا الصداقة والمحبة للباشا اكثر من اي وقت مضى، على انهم كانوا يضمرون الانتقام منه عند سنوح الفرصة كما وقع مراراً فى السنوات السابقة، الامر الذي ألحق اضراراً بالبلدة وببيت امين باشا كما سنراه فيما يلي (١).

استمر امين باشا على ولاية الموصل بعد وفاة ابيه، وخوفاً من ان يرسل من القسطنطينية قيو باشي (٢) ليستصفي ما ترك الباشا كما هي العادة مع باقي الباشوات، بادر لارسال ساع الى بغداد يرجو ذاك الباشا (سليمان باشا) ان يساعده على منع وقوع ضرر كهذا. كان هذا الباشا لا ينظر الى امين باشا بعين الارتياح، ومع ذلك اذ رآه متذللا ومستعطفاً بخضوع والحاح فقد تعهد له بالتوسط، وارسل فوراً ساعياً الى القسطنطينية يعرض مختلف الاسباب ويبين عدم لياقة مطالبة امين باشا باموال ابيه. وارسل امين باشا من جهته ايضاً كتباً الى القسطنطينية لقيو كيه سي (٣) يحثه فيها على عمل ما يمكن لمنع هذا

---

(١) الكتاب الاول، الفصل الرابع والثلاثون.

(٢) قيو باشي هو مأمور المصادرة.

(٣) قيو كيه سى: هو مدير ارتباط الولاية لدى الباب العالي.

الامر . واخيراً حصل على بعض ما كان يتمناه باعفائه من مصادرة جميع الاموال . ولكنه اجبر على تأدية الديون الضخمة التي كان استدانها المرحوم والده . فعمد الى ما عنده من النفائس الذهبية والفضية والجواهر والاواني كي يرضي — على الاقل — الدائنين الذين يخشى تعقيباتهم تاركاً الذين كان يستطيع ارهابهم . ثم انه لم يترك فرصة الا انتهزها لسلب الدراهم كي يستعيض عن المبالغ الجسيمة التي بذلها فى اداء الديون .

سنة ١٧٥٩

تعيين نعمان باشا على الموصل وعزله

بقي امين باشا فى مقامه بالموصل الى اوائل سنة ١٧٥٩ ثم ارسل والياً الى كركوك وتعين مكانه نعمان باشا الشهير ابن اخي الباشا (١) وهو الذي تمكن من التنكيل بالمتنفذين من رؤساء مدينة اورفا (٢). ان شهرته بالحزم والعزم والشدة سبقت مجيئه وكفت وحدها لنشر الرعب فى البلدة وتورع من اسمه اللصوص الذين كانو يغيرون على الارياف المجاورة . وصل الموصل في اوائل الصيف مع حرس كثير مسلح واجرى مدة اربعة اشهر سلطة كاملة هادئة دون تثقيل على الشعب ، وفي هذه

(١) هو نعمان باشا من حلب (وليس نعمان باشا الجليلي) تولى حكم الموصل في شوال ١١٧٢ هـ .

(٢) يشير المؤلف الى هذا الحادث فى الكتاب الاول ، الفصل الثلاثين.

المدة اظهر صداقة صميمة لفتاح بك ولاخرين ، ومنهم كان يقف وقوفاً تاماً على احوال البلدة وعلى المتنفذين وعلى التجاوزات التي كانت تجري في الداخل والخارج . وفي اثناء ذلك كان يجلب رويداً رويداً مئات السناجق من الجنود الخيالة ومئات عديدة من حملة البنادق ويحلهم الاماكن الموافقة ليكون في مأمن في السراي ويتمكن بعد ذلك من تنفيذ ما كان قد نواه ، وسحب كثيراً من المؤن الحربية من القلعة واتخذ جميع التدابير للقتال داخل المدينة وخارجها . كانت هذه الاستعدادات العظيمة مثيرة للرعب بين الاهلين ولم يجرأ احد على القيام بعمل ما ؛ على ان اتباع امين باشا واتباع المفتي كانوا على اشد ما يكون من الحذر لئلا يؤخذ على غرة ، لان العداء كان يلوح موجهاً نحوهم قبل كل احد. وبينما كان الناس يترقبون قرب الانفجار ، ويتساءلون اين يا ترى يقع الانفجار ، ورد عزل الباشا فجأة وجرد من اطواغه الثلاثة بدسائس مزاحميه الذين كانوا يحسدون منه علو شأنه في القسطنطينية ، بيد ان اطواغه اعيدت اليه بعد مغادرته الموصل بقليل ، ذلك عندما ارسل والياً على صيدا .

حزن محبو السلم واخيار الناس لعزل نعمان (باشا) ، لان حالة الشعب كانت بفضله قد تحسنت جداً طوال مدة حكمه ، ولم يسبق ان وجدت التجارة حرة في البلد كما كانت في عهده ، وكانت الطرق قد خلت ممن اعتادوا قطعها ، وفي المدن اخذ الناس يبيعون ويشترون كما يشاءون دون زيادة في رسوم الكمرك ودون حدوث سبب للمظالم . الا

ان النصارى واليهود الزموا على دفع سبعمائة قرش بحجة تعميرهم كنائس وكان ذلك بتحريض فتاح بك كما فعل قبل سنوات في عهد مصطفى باشا كما ذكرنا آنفاً فى الفصل الثالث والثلاثين .

واما من جهة الاتراك فكان نعمان باشا قد قتل اغا القلعة بايعاز فتاح بك ايضاً ، وكان هذا الاغا شريراً بالحقيقة ومستحقاً للقتل نظراً الى ظلمه وجوره ، لكن السبب الوحيد الذي أخذ به ، انه كان خصما لفتاح بك وعدواً لدوداً فى اثارة الفتن التى وقعت وقادراً على القيام باعمال عظيمة اذا ما تشبث الباشا بعمل شيء ما ضد اغوات الينجرية او ضد بيت امين باشا واتباعه (١) .

سنة ١٧٦٠

١ — تعيين امين باشا على الموصل ثانية وعزله

لما عزل نعمان باشا كما ذكرنا ، اسندت ولاية الموصل من جديد الى امين باشا ، فاتى الى الموصل في كانون الثاني سنة ١٧٦٠ . وبينما كان الباشا مواظباً لا على ظلم النصارى حسب ، بل على ظلم الاتراك ايضاً متخذاً انواع الحجج لسلبهم مبالغ جسيمة من الدراهم اذ اتاه العزل فى اوائل تشرين الاول ، ولم يكن ذلك متوقعاً ، ونقل الى ولاية مرعش فى مقاطعة الفرات القديمة . فسافر من الموصل على عجل بمقتضى الامر

(١) الكتاب الاول ، الفصل الخامس والثلاثون .

الذي جاءه . ولما كان يعلم ان الضربة انما اتته من باشا بغداد ، فعندما مر في طريقه باورفا ، توسل الى باشاها (وكان هذا الباشا وزيراً مرعي الخاطر جداً في القسطنطينية) ورجاه ان يسعى لاعادته الى الموصل ، فوعده بذلك وابقاه عنده الى ان رجع الساعي الذي انفذه الى القسطنطينية حاملا جواب الموافقة .

٢ — القتال بين فرق الينجرية

وفي هذه الاثناء وقع في الموصل ثورة عظيمة وتحزب لم يسبق له مثيل بين الينجرية (١) . اتفق يكرمي يدي مع اوتوزبير بعد ان كان الفريقان اعداء الى ذلك الوقت واتفقا على اللي ايكي واللي سكز واونتجي . وهؤلاء الآخرون كانوا اقل عدداً فاضطروا الى الانسحاب من بعض الاماكن بعد ان وقع من الطرفين اكثر من عشرين قتيلا في مصادمات مختلفة ولم يصطلحوا . وكانت المدينة في اضطراب مستمر ولم يكن احد آمناً على نفسه لا في داره ولا في الخارج ، فتعطلت التجارة والصناعة تماماً حتى ان الشعب الذي كان غير مرتاح من تعديات امين باشا صار الآن يتمنى وجوده بلهفة للتخلص من مظالم الثوار .

---

(١) «يقسم جيش الأمبراطورية العثمانية الى ١٠١ اورطة اوفرقة ، تحمل كل منها رقماً من الأرقام من١و٢و٣ الى ١٠١ : يكرمي يدي هي الاورطة ٢٧ ، واوتوزبير ٣١ ، اللي ايكي ٥٢ ، اللي سكز ٥٨ ، اونتجي ١٠ ، وكل الاتراك تقريباً ينتسبون الى احدى الاورطات ليحتموا بواسطتها من الغير »(المؤلف)

٣ — عودة امين پاشا

وفي آخر تشرين الثاني عاد امين پاشا كأنه قادم من نصر ، واستقبله الشعب بجفاوة وذهب قسم من الناس لاستقباله ليروه ثياباً ملطخة بالدماء ويطالبون النصفة للذين قتلوا في الثورات . فوعد ان يرضي الجميع ، ولكنه لم يطبق القصاص على احد بل عاقب جميع الاورطات المذكورة آنفاً بتأدية سبعة عشر كيساً من الدراهم (١) ، ولهذا صار الينجرية يقولون جهاراً انهم سيعودون ويثورون اكثر من قبل بعد ان يصرف الباشا عن الموصل ما دام الدم رخيصاً بهذه الدرجة (٢) .

سنة ١٧٦٦ (٣)

قدوم الفلكي نيبور الموصل

في شهر ايار من سنة ١٧٦٦ بلغ الموصل فلكي شهير دانيمركي يدعى

(١) الكيس يساوي خمسمائة قرش .

(٢) الكتاب الاول ، الفصل السادس والثلاثون .

(٣) غادر لانزا الموصل في ٢٢ آذار ١٧٦١ قاصداً روما لاشغال تتعلق بشؤون وظيفته ورسالته . وفي ٩ آذار ١٧٦٣ وصل عاصمة الكثلكة حيث بقي حتى ٦ تشرين الاول من السنة نفسها ثم قفل راجعاً الى الموصل ووصلها في ٢٥ آذار ١٧٦٤ . وفي السنة التالية ١٧٦٥ اخذ يزور المسيحيين في مختلف القرى والمراكز المجاورة للموصل كما يروي ذلك مفصلاً في مذكراته . ولقد نقلنا ما كتبه عن جوار الموصل فيما سبق .

السيد نيبور (*Niebuhr*) مبعوثاً من قبل ملك الدانيمرك الى آسيا مصحوباً باربعة علماء آخرين مختصين بعلم الآثار والتاريخ والنبات والجغرافية ، لاجراء اكتشافات جديدة ولقياس درجات العرض والطول للخرائط البحرية والجغرافية . وبعد بضعة اسابيع غادر الموصل متوجهاً الى ماردين . . . (١)

سنة ١٧٦٧

(وفاة الاب فرنسيس توردياني في ٢٨ نيسان ١٧٦٧ على اثر حمى شديدة انتابته بعد رجوعه من معالجة بكر بك اخي امير قره جولان . وكان له من العمر ست واربعون سنة) . (٢)

سنة ١٧٦٨

استيزار امين باشا وتوليته حكم ديار بكر – تعيين مصطفى باشا على الموصل

في سنة ١٧٦٨ تعين امين باشا من قبل الباب العالي وزيراً او فيروغلي اعني باشا ذا ثلاثة طوغات ، وهي ارفع درجة في الامبراطورية العثمانية . ان هذا الباشا كان منذ سنوات يقدم لبلاط القسطنطينية كميات وافرة من الدراهم لنيل هذا المنصب ، لكن باشوات بغداد المضادين

(١) الكتاب الثاني ، الفصل العاشر .

(٢) الكتاب الثاني ، الفصل الحادي عشر .

لعائلة عبد الجليل (وكان باشا بغداد يهاب جانبهم) قد عاكسوه فى هذا .

فى السنة السابقة ثارت الحرب بين الاتراك والموسقوف ، ففكرت تلك الوزارة بان الوقت قد حان للتخلص من هذا الباشا الخطر . لذلك لا فقط لم يمانعوا بل سعوا وجدوا لتعيينه وزيراً تخلصاً منه واذا لم يكن باشوات الموصل ملتزمين بحمل اثقال الحرب مع الاوروبيين واقتصرت مهمتهم على محافظة الحدود التي تفصلهم من ايران ، اشتغل اولئك الساسة فى اعلاء شأن امين باشا لدى الباب العالي وجعلوا ان يولى حكم ديار بكر المترامية الاطراف المحتشدة بالعناصر الكردية المختلفة التى كانت تؤدي الجزية للباشا . وبينما كان امين باشا فى الموصل فرحاً ومنهمكاً في الضغط على الشعب لاخذ كميات وفيرة من الدراهم ، وصل رسول من القسطنطينية يحمل خبر تقليده حكم ديار بكر . لكن هذا الخبر لم يبهج الباشا الذي احس بالدسيسة ، وللحال انفذ رسولا الى القسطنطينية يطلب بقاءه في الموصل . ولم تجده نفعاً تلك الكميات الوافرة التي كان يبذلها لهذه الغاية .

وبينما كان امين باشا يقوي حزبه وجنوده لدخول ديار بكر بكبكبة فخمة تليق بوزير ، وصل الموصل الباشا الجديد مصطفى باشا (١) وهو ذو ثلاثة طوغات . فتبودلت بينهما الزيارات والهدايا . واخذ مصطفى باشا يتودد الى امين باشا مستعيناً به ترويجاً لمقاصده السياسية . فاجابه هذا مؤكداً ان ابنه سليمان بك وعائلته مع حزبه مستعدون لان يبذلوا له المساعدة

---

(١) هو مصطفى باشا شهسوار من الباشوات الاتراك .

في كل امر يطلبه . ودعا امين باشا اغوات الينجرية ووجوه المدينة وحرضهم على ان يبقوا متحدين مع ابنه معدداً اياهم ألا يعاكسوا الباشا ، واقسم بانه سوف يبيد لدى رجوعه كل من ضاد اوامره . لكن هذا الامر اضر بمصلحة مصطفى باشا ، اذ جعله مرتبطاً بسليمان بك . وكان هذا يعاكس بالخفية اجراء اوامر الباشا الا اذا استشاره ورضى الخطة (١) .

سنة ١٧٦٩

١ — الحالة التجارية فى الموصل

قبل ان ابدأ بذكر الاضطرابات الكبيرة التى حدثت سنة ١٧٦٩ في الموصل بدهاء الاغوات الاتراك والينجرية اريد ان اذكر حادثاً وقع فى نهاية السنة المنصرمة وبدء السنة الحالية احدث ضرراً جسيما بالمرافق التجارية الموصلية .

توفي في السنة الماضية فى العمادية بهرام باشا امير الاكراد (٢)

---

(١) الكتاب الثاني ، الفصل الثاني عشر .

(٢) « ان هذا الباشا كان مشتهراً بسخائه فى تلك الجهات فى هذه السنين الاخيرة . وقد ناصبته الحكومة العثمانية العداء عدة مرات ، واثارت ضده اقاربه ومرؤوسيه ونصبت له الفخاخ للقبض عليه الا انه بدهائه تمكن من الافلات والاعتصام بمدينته الحصينة غير آبه بالاعداء لذلك كان يكره كرهاً شديداً الحكومة العثمانية ويرغب فى ان تنخفض شوكتها ازاء الاوروبيين » . (المؤلف)

المجاورين لولاية الموصل فخلفه ابنه الثاني (وهو ابنه الاول من زوجته الثانية) المدعو اسماعيل باشا . ان هذا الباشا لم يكن محبوباً من قبل مرؤوسيه لسوء اخلاقه وسياسته . فثار ضده احد اقاربه المدعو بيرم بك وذهب الى بغداد ليأخذ من الباشا جيشاً يتمكن به من الاستيلاء على الاكراد . كان هذا موافقاً لسياسة الاتراك وهي التفريق بين هذه العناصر المجاورة اتقاء من شرها وللحصول على كميات وفيرة من النقود . فقد رضي الباشا بان يلبي طلب بيرم بك واعلنه اميراً على العمادية . ثم كتب الى امير قره جولان بان يرسل جيشاً لمساعدته . وانضمت اليه عدة عناصر كردية وقسم من اليزيدية (١) الذين لم يكونوا على وفاق مع اميرهم . اما اسماعيل باشا فتبع فى قلعته في العمادية حيث كان في مأمن من اعدائه . وهكذا تمكن بيرم بك من الاستيلاء على الجبال .

ان هذه الحرب التي دامت عدة اشهر ، اضرت بالموصل كثيراً ، لانها كانت ترسل الى العمادية بضائع كثيرة وتستورد منها اشياء اخرى لاغنى عنها . لكن الضرر الاكبر الذى الم بها هو العداآت والانشقاقات الناشئة بين الينجرية ، وكل همهم هو تقوية احزابهم لمقاومة بعضهم بعضاً .

---

(١) « ان اليزيديين هم عبارة عن اوثان يكرمون الشيطان . ليسوا بمسلمين ولا بمسيحيين ، لكنهم يندبون المسيح في ضيقاتهم . واظن حسبما ظهر لي من مطالعاتي الشخصية انهم بقية من المانويين » . (المؤلف)

٢ — القتال بين فرق الينجرية

دامت هذه الحالة ستة اشهر جرت اثناءها اضطرابات عديدة. فكان كل واحد يعمل ما يهواه غير مبال اوخائف من الباشا المتولي على المدينة. وبعد مخاصمات كثيرة واتفاقات وقتية بين الينجرية، اتحد اخيراً اوتوزبير مع اللي ايكي بدهاء سليمان بك واسعد اغا ليحاربوا يكرمي يدي: الفرقة المتغلبة في المدينة.

وفي شهر نيسان بدأت الفرقتان المذكورتان بالقتال ضد يكرمي يدي. لكن هؤلاء توصلوا الى ضم اونتجي واللي سكز اليهم واستولوا على بعض المواقع الامامية ليتمكنوا من مقاومة اوتوزبير الذين كانوا يهاجمونهم بشدة، حتى انهم توصلوا الى الاستيلاء على بعض المواقع الستراتيجية لكبح جماحهم. وبعد يومين من هذه الحرب الشعواء والقتال المستمر في انحاء كثيرة من المدينة. امتعضت فرقة يكرمي يدي واظهرت حقدها ضد اسعد اغا وسليمان بك حاسبة اياهما السبب لهذه الوحدة التي قامت بالحملة ضدها. مع انهما كانا متظاهرين بعدم التدخل وبخلو البال من الميل الى احد الحزبين وعلى هذا هجمت فرقة يكرمي يدي على قلعة اسعد اغا (١) وتقدم رجالها من

---

(١) تقع هذه القلعة في محلة امام عون الدين وهي اليوم عبارة عن دور متعددة مقابل دار صديق بك الجليلي.

قلعة سليمان بك (١) مطلقين عليها عدة طلقات صارخين ان لا عداوة لهم مع الباقين إلا مع هذين السيدين اللذين سببا هذه الفتن . فاخذ يقاومهم اسعد اغا وخدمه ، وبمساعدة بعض رجال اوتوزيبر المعاضدين لهم ارجعوا الاعداء الى معاقلهم . وحدث بين الطرفين قتلى وجرحى كثيرون وكان من بينهم رجلا من اقوى واشجع خدام اسعد اغا وكان مسيحياً محبوباً من العائلة جمعاء .

على اثر هذا الحادث تسلح المذكوران مع اتباعهما وتظاهرا بالعداء ليكرمي‌يدي . وفي تلك الليلة عقدت عدة اجتماعات فى قلعة سليمان بك - حيث كنت موجوداً بالصدفة - للتوصل الى فصل الفرق المتحدة مع يكرمي‌يدي . ولذلك ذهب فى الغد اثنان من رؤساء اغوات تلك العائلة مع حاشية غفيرة متجهين نحو باب سنجار (٢) فقلعة قره مصطفى (٣) .

---

(١) هي دار صديق بك الجليلي ومايتبعها من دور. وهنا لابد لنا ان نرفع شكرنا الجزيل لحضرة الدكتور صديق بك الجليلى عن المعلومات التى اتحفنا بها بخصوص الاسرة الجليلية .

(٢) هو الباب الواقع فى شمال غربى الموصل ، فى اللحف الغربي لتل الكناسة ويبعد عن شمال بناية المتوسطة الغربية قرابة ١٠٠ متر ، وهو من اقدم ابواب الموصل - طالع « سور الموصل » للاستاذ سعيد الديوه‌جي ، في مجلة « سومر » السنة الثالثة ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) هي بيت شريف بك آل ياسين افندي .

وتوصلوا بالقوة والتهديد والوعد والوعيد الى ان يجلبوا الى حزبهم تلك الفرق باجمعها . وفي مساء ذلك اليوم انفتت هذه الفرق على دحر يكرمي دي وفي اليوم التالي لذلك هجموا عليهم هجوماً عاماً من كل الجهات واضطروهم على ترك مواقعهم والهرب منهم او الاختفاء من وجوههم . وحيث ان قوات يكرمي دي كانت قد اجتمعت في باب لكش (١) هاجمتهم فرقة اوتوزبير بقوة كبيرة مصحوبين بالشجعان من اخوة اسعد اغا واضطروا كل من لم يستطع ان يلوذ بالفرار على تنكيس سلاحه .

بعد هذا الانتصار المشهود ، دخل اولئك الينجرية الذين لا خلاق لهم بيوت اعدائهم سالبين ما توصلت اليه أيديهم مرتكبين فظائع عديدة . وما كانوا ليتركوا شيئاً سالماً او سيئة الا اتو بها لولا ان السادة من آل عبد الجليل (وكانوا متفقين معهم في هذا القتال) ردعوهم عن شرهم.

ان الموصل لم تشهد فيما سبق ثورة شديدة كهذه حتى ان الذين اذكوا نارها استحقوا ملامة الجميع ، واصدر سليمان بك - وهو من المحايدين - امره باحضار الاسلاب فوراً الى قلعته متوعداً بحكم الموت كل من يصر على ان يبقي في حوزته شيئاً مهما كان زهيداً . وهكذا

---

(١) هو الباب الجنوبي لمدينة الموصل ، وكلمة لكش هي تحريف « جيش » وكان سابقاً يسمى باب الجيش ، لان الجيوش كانت تجتمع عنده للسفر الى بغداد . طالع « تاريخ الموصل » الجزء الاول ، ص٢٧٢ . اما الاستاذ الديوه جي فيرى انها تحريف «جهش» — باب الجهش — (في المقال المذكور ص١٢٧).

اعيدت الاشياء الى اصحابها في بضعة ايام .

اما رؤساء يكرمي يدي في باب لكش اللائذون بالفرار — وكان عددهم زهاء سبعين رجلا ، فقد قصدوا بغداد واتحدوا مع فتاح بك - عدوهم اللدود سابقاً - واعلنوا انهم مستعدون للانتماء الى حزبه لينكلوا باعدائهم : اعنى عائلتي سليمان بك واسعد اغا . فاقتبلهم الباشا بارتياح في حمايته واخذ يعاونهم في مذكرة قدموها له ضد اسعد اغا فيها يجعلونه المحرض الاول على سلب بيوتهم ونهبها والمسؤول عن كل ما جرى من الخلل في الموصل . على اثر هذه المذكرة بعث باشا بغداد رسولا يحمل امراً الى اسعد اغا بان يعوض اربعمائة كيس عن الاضرار الجسيمة التي لحقت بالاهلين نتيجة السلب الآنف الذكر . ولدى وصول هذا الرسول الموصل ، اتاه كثيرون من حزب يكرمي يدي وبالغوا في الشكوى ضد اسعد اغا الذي لم يتنازل للجواب او للحضور امام ذلك الرسول رغم التهديدات التي هدده بها هذا والتزم الرسول ان يعود الى بغداد بصفقة خاسر .

ظلت المدينة في راحة مدة قليلة حتى شاع خبر بان فتاح باشا سوف يعين عن قريب باشا لمدينة الموصل . فاخذ رجال يكرمي يدي يرفعون رؤوسهم شيئاً فشيئاً محاولين ضم باقي الفرق اليهم للانتقام من اوتوزبير واللي يكي . وهكذا بدأت الاضطرابات في الموصل ثانية .

ان فئة من المحاربين نصحوا لسليمان بك الا يتداخل في مخاصمات الينجرية . فجاء هذا طبقاً لسجيته لانه كان يتحاشى بذل النقود نظراً الى ما اشتهر به من الشح . وبعد ان اطمأن يكرمي يدي من عدم تدخل

سليمان بك ، هاجموا اللي يكي الذين لم يحظوا باية مساعدة من اوتوزبير لعدم وجود من يتعهد بالمصاريف . وبعد اربعة ايام من هذه المناوشات ، طلب الباشا من سليمان بك الزام المقاتلين بالقاء السلاح . اما هذا فبقي محايداً لايريد التدخل . وتوصل بواسطة المفتي من عقد سلام ظاهريا ، انتهزه الجميع فرصة لتهيئة حرب دموية اخرى . اما سليمان بك فاذ رأى الاستعدادات ضد المتحزبين له ، تدخل في الامر وصالح اغوات الينجرية . ولم يبق الا بعض العصاة الذين كانوا يضمرون الحقد لبعضهم بعضاً محدثين اضطرابات فى المدينة . لكن الاضرار كانت محدودة شخصية (١) .

٣ — ظهور نجم مذنب

في نهاية شهر آب ظهر فى السماء نجم مذنب غريب الشكل ، كان يلوح قبل منتصف الليل متجهاً من المشرق نحو المغرب وكان يرى اكبر حجماً من سائر النجوم . والامر الذي كان من الغرابة بمكان ان ذنب هذا النجم — خلافاً للمذنبات — كان متجهاً الى الامام .

رصدته عدة مرات بنظارات مكبرة فوجدته ككرة نار تميل الى الخبو ، كما ترى النار في كهف بعيد . وفى شهر ايلول اخذ يظهر فى الصباح الباكر ، وبعد ذلك حرمنا من مشهده المدهش الذي جعل الشعب الساذج يتفاءل عن مصير الامبراطورية العثمانية المشؤوم . فان شعوب هذه البلاد على اختلاف اديانهم يعتقدون بالعلامات الخارجية الطبيعية ويستطلعون بها

(١) الكتاب الثاني ، الفصل الثالث عشر .

المستقبل ولهم كتب لتفسير الاحلام (كما هو الحال عند جهلاء الاوروبيين ايضاً) وفي كيفية معرفة الطالع بالمظاهر الكونية في السماء وفي الهواء وفي الارض . ومع ان الكتب المذكورة لاتصيب غالباً في تعيين المستقبل ، فان هذه الفئة متمسكة بها وبتطبيقها كلما وقع حادث غريب يستوجب الدهشة والانذهال .

في السنة الماضية اندلعت نيران الحرب بين الاتراك والموسقوف ومن حين الى آخر كانت تصل الى الموصل انباء مزعجة ومشؤومة عن مصير الجيش العثماني حتى ان الاهلين لدى رؤيتهم النجم المذكور الغريب الحجم والشكل ، ظنوا انه يدل على الفناء القريب للجيش العثماني حسب تعاليمات بعض كتب الاتراك والمسيحيين .

ان الشرقيين يظنون ان علماء الاوروبيين واسعو الاطلاع في كل فرع من العلوم . وان لهم الماماً خاصاً بعلم استطلاع الغيب والمستقبل ، وكذلك كانوا يظنون بي . وما كانوا يصدقونني حين كنت اقول لهم ان لا علم لي بكشف الغيب اذ لا احد غير الله يعلم المستقبل . وكانوا يظنون انني اريد ان اخفي عنهم ما انا مطلع عليه ويلحون بالطلب لابدي رأيي في هذا النجم المذنب . قبل بدء الحرب بين الاتراك والموسقوف بسنين كثيرة سألني الاتراك والمسيحيون كم من الزمن باق لاستيلاء الموسقوف على الامبراطورية العثمانية . فكنت اجيبهم ان لاعلم لي بذلك . وكانوا يبينون لي ان كتبهم القديمة لا تذكر الزمن الذي فيه الموسقوف «بنواصفر» كما يسمونهم ، سيدحرون تلك الامبراطورية فقط ، بل وتذكر ايضاً مختلف

المواقع التي سيدخل منها جيشهم للاحتلال . فطلبت منهم ان يطلعوني على احدى هذه التنبؤات . ووجدت بعد مدة كتاباً عند احد الكهنة الكلدان مكتوباً بالكرشوني (١) يحتوي على بعض قصص تذكر اندحار الامبراطورية العثمانية من قبل الموسقوف والطرق التي سيتسرب منها الى هذه الامبراطورية. هذا وان الوقت الذي يعينه الكتاب كان يدل على ان انهيار الامبراطورية سيتم بعد موت السلطان محمود اي سنة ١٧٥٥ وكانت احدى الطرق المعينة في الكتاب التي سيمر منها الجيش المحتل واقعة في الطرف الشرقي بالقرب من اربيل القديمة ، حيث ان الجيش بعد ان يمر في بلاد ايران يصل الى جيورجيا ومنها الى بحر قزوين .

ادهشني كيف ان امثال مؤلفي هذا الكتاب قدروا ان يعرفوا هذه الحوادث المستقبلة ويبينوا وقوعها قبل اوانها . ففكرت ان المؤلفين من المسيحيين كتبوا ذلك مفسرين سفر الرؤيا ليوحنا الرسول حسب تفسير بعض المؤلفين اللاتين الذين ظنوا ان يوحنا الرسول يتكلم عن تأسيس ونمو وانهيار الامبراطورية العثمانية . وبما ان من عادة الشرقيين ان يضيفوا الى الحوادث زوائد كثيرة من عندياتهم ، فقد الفوا من ذلك قصة تاريخية راسمين الطرق التي كان يسهل على الموسقوف التوغل منها في هذه البلاد . وان الأتراك نقلوا ذلك عن كتب المسيحيين كما فعلوا في اشياء اخرى ايضاً حسبما يتضح من عده حوادث نقلوها من العهد القديم والعهد الجديد

---

(١) الكرشوني اسم يطلق على اللغة العربية المكتوبة بحروف آرامية .

مضيفين اليها اومنقصين منا حسب اهوائهم . ربما هذا هو الاصل في ظن الأتراك في نهاية الأمبراطورية العثمانية وهم يقولون ان تأخير ذلك انما كان بشفاعة واستحقاقات الرسول محمد .

مما ذكرناه يسهل علينا فهم تأويل معنى النجم المذنت الذي كان يظهر شرق اربيل متجها نحو الغرب ، اذ من هناك كان يجب ان ياتي الموسقوف للاستيلاء على الامبراطورية العثمانية المترامية الأطراف . وهكذا كانت تطرق اسماعنا كل يوم انباء كاذبة عن دخول الموسقوف في عدة مواقع من الأمبراطورية وعن تقدمهم ، مع انهم كانوا بعد في كريميا (١)

٤ — القتال بين فرق الينجرية

في شهر كانون الثاني من سنة ١٧٦٩ تم اتحاد جديد بين فرق الينجرية كان سببا لحرب مدنية اخرى . فان فرقة اللي يكي التى كانت الى ذلك الحين مضطرة على ان تبقى متحدة مع اونوزبير لتقي نفسها شر الفرق الأخرى ، رأت ان احلافها هؤلاء قد كفوا ايديهم عن مناصرتها فعقدوا الهدنة متحدين مع الفرق الأخرى المضادة لأوتوز بير التي كان افرادها مزمعين ان ينتقموا عن الأهانة التي اصابتهم في حادثة السلب التى ذكرناها آنفا . وبعد الأتحاد المنوه عنه شرعوا ينكلون باوتوزبير . فشب القتال بين الطرفين ودام ثمانية ايام وسبب وقوع قتلى وجرحى كثيرين ، دون ان تتمكن تلك الفرق مجتمعة من التغلب على اوتوزبير او من نهب احد

(١) الكتاب الثاني ، الفصل الرابع عشر .

يوتهم كما كانوا قد اعتزموا . اخيراً تم الصلح بينهم بتوسط بعض الوجوه ولكن ظاهريا كما فى السابق . ودام السلم بينهم على اثر رجوع عبد الرحمن اغا قبولر كيه سى وصالح اغا توفنكجي باشي الى الموصل . وكان هذان من اكابر اغوات امين باشا ، وقد رافقاه فى الحرب ضد الموسقوف وسرحا من الجيش بمعية آخرين لنفاذ النقود الضرورية لمعيشتهم .

فى وصول صالح اغا الى الموصل - وكان هذا من فرقة يكرمي يدي - اراد اتباعه تجديد الحرب ضد اوتوزبير . لكن صالح اغا ذكر احسانات اوتوزبير نحوه في مقاومته لفتاح بك في السنوات الماضية . فنزل عند رغبة سليمان بك ومنع كل حركة عدائية . ولما كان البعض يريدون الثورة خلافا لامره ، هدد بالموت كل من تسول له نفسه من اعضاء فرقته التعدي على احد افراد فرقة اونوزبير . وهكذا انتهت الثورات المدنية فى هذه السنة .

ان الاغوات المذكورين وغيرهم من المنتمين الى الجيش التركي ، كانوا يقصون اخبار المعارك العنيفة المختلفة التى دارت رحاها بينهم وبين الموسقوف والخسارات الفادحة التي اصابت الجيش العثماني وحالة الباقين منهم للدفاع عن تلك الولايات ، تلك الحالة التعيسة الناجمة عن نقصان المعيشة والقيادة .

وفي هذا الوقت وصل نبأ يفيد ان بعض الموسقوف ومعهم بعض الجيورجيين دخلوا حدود السلطان الكبير وذلك من جهة بايزيد ناهبين اراضي وان وقارص وارضروم وجمعوا ذخائر كبيرة لجيشهم الكبير العظيم الذي - حسبما قيل - كان يجب ان يصل الينا في الربيع ؛ لكنه

لم يصل بالحقيقة . ان جميع هذه الاخبار كانت تؤيد ظنون هذه الشعوب عن دنو اجل الامبراطورية العثمانية باستيلاء « بني اصفر » عليها حسبما كانت تشير كتبهم .

وان عرب الصحراء انفسهم استاءوا من پاشا بغداد لقتله عبدالله بك الشهير ، سيدهم وحامي ذمارهم . فغزوا عدة مرات قرى بغداد وكركوك وغيرها من الاماكن ناهبين القوافل براً والاطواف (الاكلاك) نهراً ، ملحقين اضراراً جسيمة بالولايات المجاورة . هذه كانت احوال الموصل الوخيمة في نهاية سنة ١٧٦٩ (١) .

سنة ١٧٧٠

تعيين فتاح پاشا لولاية الموصل

بعد عيد الميلاد شاع خبر تقليد فتاح بك منصب پاشوية الموصل بعد ان كان قد نفي منها ثماني سنوات . ان هذا الباشا هو ذلك فتاح پاشا الذي ورد ذكره مراراً عديدة فی هذا التاريخ ، حيث تكلمنا عن الفتن التي اثارها وعن قسوته على مواطنيه وذويه الاقربين ، لكنه كان مغلوبا فی معظم الاحيان في تلك الثورات لتفوق اعدائه بكثرة عددهم ، كما وانه كان قد سقط مرات اخرى اسيراً بين ايديهم لكنه بسياسته ودهائه مع تلك العائلة الكثيرة العدد نجا بنفسه ، مع انهم كانوا يعلمون

(١) الكتاب الثاني ، الفصل السادس عشر .

بنياته السيئة نحوهم . وفى الفتنة الشهيرة التي اثارها سنة ١٧٦٢اضطر ان يغادر المدينة ، ولم يتمكن من العود اليها لمعاكسة امين باشا ، لانه كان يكره وجوده في الموصل . فاضطر حينذاك على الانزواء في بغداد حيث بسياسته ودهائه تقرب من باشا بغداد ، كما ان الدنيا كانت قد آتته اليسر . فاثرى وصار من ذوي اليسار المعدودين ، واجتهد اذ ذاك في مساعدة حزبه فى الموصل . وكان قبلا قد اقسم ايماناً مغلظة بان رجليه لا تطآن ارض الموصل الا غارقتين بدماء اعدائه . واخيراً بواسطة باشا بغداد وبذله دراهم كثيرة له توصل الى ان يصبح باشا الموصل .

صعقت المدينة باسرها لهذا الخبر المفزع ، اذ ان الجميع كانوا على يقين من ان فتاح بك كان من ذوي النيات الفاسدة ، حتى ان اسعد اغا واخوانه انفسهم لجأوا مع عائلاتهم الى قره جولان منضوين تحت حماية اميرها ، كما وان اغوات آخرين لجأوا الى غيرها من الولايات والذين بقوا طلبوا حماية احد الاشخاص العائدين الى الباشا خشية نقمته .

ان الباشا أخر قدومه الى الموصل وذلك ليزيد عدد اتباعه ليتمكن من الدخول الى المدينة وهومتيقن من ان اعداءه لن يقووا على مقاومته او مقاومة حكمه . وعقدت اجتماعات عديدة بين الوجوه واغوات الينجرية ليفحصوا كيفية العمل في هذه الظروف المرتبكة ، وكيفية معاملة هذا النمر المستبد الذي كان يرغب منذ مدة طويلة فى ان يشفي غليله بسفك دمائهم. لكنهم لم يتفقوا على رأي واحد ، لان كل واحد منهم كان مهتما لاغراضه الشخصية ومصالحه الفردية ، وهكذا لم يتوصلوا الى تشكيل وحدة

لمقاومة هذا العدو الغاشم الذي كان معضوداً من قبل باشا بغداد فضلا عن حزبه في الموصل المعزز بفرمان من الباب العالي . لذلك عزم سليمان بك مع نفر من عائلته واتباعه ان يقبعوا فى عقر دورهم ، ظانين ان فتاح بك لن يتعرض لهم دون سبب جديد ، اما باقي الاغوات فاستماحوه العفوا وطلبوا حمايته بتوسط امرأته . وباقي اعدائه منهم من لجأ الى مدن غير الموصل ومنهم الى ولايات كردستان القريبة . وهكذ ذهب اسعد اغا هو واخوانه واولاده وحاشيته عند امير قره جولان الذي قبلهم بكل سرور واكرم مثواهم .

بعد سفرهم ، اقترب الباشا الجديد مع كل رجاله من المدينة ليستعد للدخول اليهاباحتفال عظيم . وان اكثر السادة والشعب لم يكونوا فرحين بقدومه ما سوى بعض الينجرية على شاكلته وذلك لينتقموا من اعدائهم . وفى اليوم المعين ١٤ نيسان — الموافق يوم سبت النور — استقبله الوجوه والشعب هاتفين بحياته ، ودخل السراي باحتفال مهيب . وصل الى المدينةوهو مصاب بمرض داخلي .وحل فيبيتهوهو من افخم واجمل قصور المدينة ، واخذ يستقبل كل من كان يأتيه مهنئاً بقدومه .

وكما اشرت اعلاه كان مصاباً بمرض عضال . فطلب عدة مرات رايي عن مرضه : رأيت ان المرض عضال فاكتفيت بوصف الأكل وبعض العلاجات البسيطة . ولما رأى انني لم اعد اليه لمعالجته ، طلب المعالجة من طبيب تركي صديق له . واظن ان نيله من اعدائه اراحه اكثر

من الادوية نفسها . وفعلا بدأ بعد بضعة اشهر ينفث سمومه في اعدائه مبتدئاً من آل اسعد اغا — الذي كان قد تزوج اختيه وكان ايضاً قد انقذه في ثورة سنة ١٧٦٢ —.

ان اسعد اغا كان في غياب فتاح بك قد اخذ في تعلية القسم المجاور من بيته لبيت فتاح بك ليكون كقلعة تقيه في المستقبل من بطشه ، فلدى عودة فتاح بك الى منصب باشا هدم تلك البناية ثم تحرى قلعة اسعد اغا بدقة فوجد فيها عتاداً حربياً من البارود والكرات (القنابل) واستولى على خيل جياد كانت قد تركت في الموصل ، وعلى اهراء حاوية كميات كبيرة من الحنطة . بكلمة انه استولى على كل ما كان يخص تلك العائلة ، ثم انه هدد واهان كثيراً النساء الموجودات في ذلك القصر ، ولكان تجاسر اكثر لولا ان كثيرين من السادة نصحوه بالعدول عن ذلك . وهذا نفسه فعله ايضاً مع باقي اغوات الينجرية الذين كانوا قد لاذوا بالفرار واخذ يضطهد آخرين كثيرين بحجج مختلفة غاصباً اياهم على اداء مبالغ كبيرة من النقود ، لكنه لم يسفك دماء كثيرة كما كان قد اقسم . وبعد شهرين على هذه الحالة جمع اثناءهما الى خزينته امتعة كثيرة ودراهم وفيرة اخذها من الاتراك .

وفي هذا الوقت تجمعت قافلة كبيرة متجهة نحو ديار بكر واورفا وحلب . وبينما كان الباشا يريد ايقافها بشتى الحيل ليأخذ منها مبلغاً ضخماً من النقود ، كانت القافلة تزداد عدداً يوماً فيوماً . فان كثيرين

كانوا ينضمون اليها لكي يلوذوا بالفرار من الحكم الجائر الذي كانوا يهابونه ، اذ كانوا يعلمون ان ستحل بهم النقم عاجلا ام آجلا . ففكرت انا ايضاً ان هذه الفرصة مناسبة للعود الى اوروبا . فسافرت مع القافلة المذكورة (١) . غادرت الموصل بمعية اصدقاء لي في ٢٣ ايار (سنة ١٧٧٠ (٢) .


انتهى

(١) الكتاب الثاني ، الفصل السابع عشر .

(٢) الكتاب الثاني ، الفصل الثامن عشر .

فهرس
الاعلام والاماكن
والمحتويات

فهرس الاعلام

فهرس الاماكن

فهرس المحتويات

ملحق

ملحق

عثرنا في مكتبة كنيسة الطاهرة في قره قوش على مخطوطات كنسية يرتقي عهدها الى اواسط القرن الثامن عشر الميلادي ، تنقل فى هوامشها بعض الحوادث التاريخية لها علاقة بتاريخ الموصل في ذلك العصر وهي مؤيدة لما جاء فى مذكرات لانزا ، نلحقها فى هذا المحل زيادة في الفائدة ويعود الفضل في نشرها الى الاستاذ الفاضل سعيد الديوه جي الذي اطلعنا عليها وافادنا بنسخة خطية منها . فلحضرته جزيل الشكر والثناء .

﴿ ١ ﴾

الهامش الاول : كتبه حبش بن جمعة (١) سنة ٢٠٤٨ يونانية (١٧٣٧ م) بالكرشونية نستنسخه على علاته :

« سبب تحرير واصل تسطير التاريخ ان يعلم كل من يقف على هذا الخط انه في سنة ٢٠٣٥ يونانية (١٧٢٤ م) قد صار اضطهاد بين السلاطين بين سلطان الاروام وشاه العجم قامت العساكر على بعضها بعض وراحت الاروام وكسروا العجم مرتين وقتلوا منهم اناس ما علم عددهم الا الله وحده الوف الوف وربوات ربوات واخذوا يساير منهم نساء وبنات

---

(١) هو القس حبش بن جمعة بن القس ايليا وينتمي الى اسرة شهيرة في قره قوش تعرف باسمه وتتفرع اليوم الى عشرين عائلة .

واولاد دون البلوغ ما يعرف عددهم الا الله وحده الوف الوف وربوات ربوات.

وبعد ذلك فى سنة ٢٠٤٤ للاسكندر قام من العجم رجل وكان اسمه طهماس ولم له عساكر وجاء على الاروام وغلبهم وجت عساكر الاروام ودخلت الى بغداد وجوا العجم وحاصروهم في بغداد وقلت الذخائر عليهم وبقي راس الغنمة بمائة وثلاثين قروش وثور بـ ٥٠٠ قرش وحقة لحم بركيل بخمس بغادي وحقة دقيق حنطة بخمسة عشر عباسي وحقة دهن باربعين عباسي وحقة لحم ثور بثلاث قروش زواط وحقة الغنم باثني عشر عباسي وحقة حب القطن بثمان عباسي ودجاجة باثني عشر عباسي وبيضة بعباسي ومن الحطب بثلاث عباسي وحقة الرز باربعة عشر عباسي ومن العسل بمائة وخمسين عباسي وحقة ابن بثمان عباسي وحقة بصل بعشر عباسي وحمل تبن بمايتين وست عشر عباسي وبعد ذلك التمت عساكر العجم وكسروا الاروام وقتلوا راس عسكرهم . وبعد ذلك ايضاً التمت عساكر الاروام وعساكر العجم في بلد ارزروم وانكسر ايضاً الاروام . فبعد ذلك فى سنة ٢٠٤٧ الله تعالى رمى الصلح والاتفاق بين السلاطين وتصالحوا مع بعضهم بعض . وفى هذا الجيل وفي كل الاجيال الرب يعين المؤمنين من ضيق الذي صار ويصير لهم من يد الحكام امين . فكتبناه هذا التاريخ حتى كل من يقراه يتعجب من مضايق الذي تصير في الدنيا ويكون دائماً قلبه عند الله حتى لا يسلمه فى مضايق دنيا والاخرة والله دايم الى الابد ».

﴿ ٢ ﴾

الهامش الثاني : لحبش بن جمعة ايضاً كتبه سنة ٢٠٥٣ يونانية (١٧٤٢م) بالسريانية هذه ترجمته :

« وفي هذه السنة (١٧٤٢ م) نصف البذر اتى حنطة وشعيراً . وفى اليوم الثامن من ايلول هذه السنة وقع نار من السماء واحرقت ثماني سفن كانت تحت الجسر الذي على النهر الموجود امام الموصل . وفي هذه السنة عينها بنيت القناطر باهتمام واجتهاد حسين پاشا بن اسماعيل پاشا . وفى هـــذه السنة وقع وباء ومرض فى بقر القرية (قره قوش) ومات منها عدد كثير ».

﴿ ٣ ﴾

الهامش الثالث : كتبه القس حبش بن جمعة ايضاً سنة ٢٠٥٧ يونانية (١٧٤٦م) بالسريانية هذه ترجمته (١) :

---

(١) نشر هذا النص مع ترجمة فرنسية *M. H. Pognon* في *Florilegium Melchior De Vogue* ، طبعة باريس ١٩٠٩ تحت عنوان *Chronique syriaque relative au siege de Mossoul par les Persans en 1743.* صحيفة ٤٨٩ — ٥٠٣ .

« في سنة ٢٠٥٤ يونانية (١٧٤٣م) قدم الى هذه البلاد طهماس ملك الفرس بعساكره فنهبها وسلب الكتب التي كانت موجودة قبل هذه والآن اسمعوا يا اخواننا الاحباء ماحدث في ذلك الزمان : بعد ان احتفلنا بعيد القيامة وردت الينا اخبار مرهبة عن قدوم هذا الطاغية ، ارعبت قلوب سكان هذه البلاد . قام طهماس ملك الفرس هذا وجاء مع جيوشه مثل جراد طيار لايحصى عدده ووصلوا مدينة كركوك وحاصروها مدة تسعة ايام ولم يتمكنوا من الدخول اليها حتى انهم نصبوا لها في اليوم العاشر المجانيق وفي الليلة نفسها اخذو يضربونها بالقنابل من الفجر حتى الساعة الثالثة من النهار فاحرقوها . ورفع اهل المدينة صوتهم قائلين : « اننا خاضعون لك يا سيدنا الملك » . وسلموا المدينة . فاستولى عليها ودخلها وقبض على كبار المدينة فقتل بعضهم وشنق غيرهم وسبى الاولاد والبنات والنساء و (نهب) الذهب والفضة والاموال والمواشي وكل ما كان عندهم . وبعد ان اقام حاكماً في المدينة انتقل الى قلعة اربيل وحاربها بضعة ايام ثم احرقها بالقنابل واستولى عليها ونهب كل ما وجده فيها واتى فيها بمنكرات كثيرة ثم اقام فيها حاكماً آخر . وقبل ان يصل كركوك كان ملك الموصل حسين باشا قد ارسل الينا اعني الى سكان قرية بيث خوديدا (قره قوش) : « ان اجلبوا كل ما لديكم من الحنطة والشعير والتبن والخشب وما هو عزيز عليكم اعني النساء والاطفال » . فنقلنا كل ما امكننا نقله وبقي في القرية عدد يسير من الرجال بمعية ابينا المبجل والمستحق للذكر الطيب مطران كارس حتى عيد الانتقال (١٥ آب) وبعد ان

اكملنا الاسرار وخرجنا من الكنيسة فوجئنا بالخبر ان انهضوا واهربوا لان الفرس قادمون . فوقع خوف ورعب شـديد ارخى قوانا ، فقمنا واخذنا ما وقع بين ايدينا وهربنا الى الموصـل في اليوم عينه . وفى الغد جاءت عساكر الفرس وقبضت على ثمانين رجلا (كنا قد تركناهم) حراساً على القرية فعروهم من ثيابهم لكنهم لم يقتلوا الا واحداً منهم ودخلوا المدينة . حينئذ استولى الفرس على الناحية كلها حـتى الجبال ، فنهبوا وسبوا قرى المسيحيين والمسلمين واولا نهبوا وسلبوا سكان كرمليس وخطفوا الاطفال والبنات والاموال ، وهكذا فعلوا باهالي برطلة وقتلوا بعض رجالهم وسبوا عدداً كبيراً من الاطفال والبنات والاموال والنساء ولم يتركوا لهم شيئاً وسبوا قرية تلكيف والقوش الا ان اكثر (السكان) هربوا والتجأوا الى دير الربان هرمز فى الجبل وهناك ادركتهم (العساكر) وهجمت عليهم كالذئاب على الخراف او البواشق على العصافير . فقتلت بعضهم واسرت غيرهم وارتكبت بينهم فظائع لاتوصف ولاتذكر . ولا يمكنني ، ياخواننا ، ان اذكر بالتمام ماحدث فى هـذه البلاد : ذهبت (عساكر الفرس) الى جبل الشيخ عادي حيث قتلت كثيرين وسبت النساء والاطفال وكل ما وجدت ثم عادت الى طهماس ملكها فى اربيل .

اما ملك الموصل المذكور فتذرع بالشجاعة والبسالة هو وبنوه وذووه مع كبار المدينة واحكموا غلق ابواب المدينة بشجاعة . وامر الملك جميع سكان المدينة من المسلمين والمسيحيين واليهود قائلا : ان استعدوا للحرب برباطة جاش واجتهاد . فقام جميعهم سوية واعدوا سلاحهم ونصبوا المجانيق

اعني المدافع فوق اسوار المدينة وصاروا يحافظون عليها باحتراس ليلا ونهاراً . وبعد عشرة ايام وصل الملك طهماس مع عساكره مثل جنادب وجراد لايحصى عددها واحاطوا بالمدينة احاطة المنطقة . فوقع خوف ورعب عظيمان فى المدينة . ولا يمكنني ان اصف ايها السامعون ، الفزع والاهوال والذعر الذي حدث . ان هذا الطاغية اعد معداته بدقة : نصب المجانيق والمدافع مقابل المدينة . وفي يوم عيد الصليب (١٤ ايلول) باشروا باطلاق النار ، فاطلقوا المجانيق اولا لكن سدى . حينئذ اخذوا يلقون القنابل واستمروا مدة تسعة ايام بدون انقطاع لافي الليل ولافي النهار . ووهب الله اهالي الموصل الذين كانوا يحافظون الاسوار قلباً صخرياً فصاروا يزأرون مثل الاسود فوق الاسوار ، تربطهم جميعاً المحبة والوحدة ، وكان البعض يشجع البعض قائلين : تشجعوا لئلا يغلبنا الطاغية . والذين بقوا في البيوت نزلوا تحت الارض اعني الى المنازل السفلى يولولون ويطلبون الى الله كيلا يسلمهم في ايدي الكفرة . وحدث خوف عظيم وضيق في المدينة كلها ، خاصة بسبب القنابل التي كانت تأتي من كل جنب وتقع في المدينة ، وبعضها كان يقع على السطوح فتدمر منزلا او منزلين او ثلاثة . ولم يكن احد يستطيع الخروج خارجاً ماسوى المحافظين على الاسوار والمتارس .

ان طهماس هذا الطاغية امر العساكر فحولوا نهر دجلة كيلا يجري بالقرب من المدينة . فوقعت المدينة في ضيق وشدة بسبب المياه . وصاروا يشربون الماء من الآبار المالحة والمرة . وهذا ايضاً آلم مدينة الموصل .

وارسل جنوده الى الجبال والسهول لجلب الذخيرة لهم فلم يتركوا شيئاً لافي الجبال ولافي السهول لامن حنطة ولامن شعير ولا من خشب ولا من تبن ودهن وعسل وغيرها من المأكولات حتى بلغوا جزيرة قردو في يوم الأحد اثناء القداس. فدخلوا الكنيسة حيث كان المسيحيون مجتمعين وقبضوا عليهم وذبحوهم كالاغنام وسبوا النساء والاطفال ونهبوا آنية الكنيسة اعني الصليب والصواني والكؤوس مع كل آنية الخدمة وارتكبوا فظائع جسيمة في المدينة ثم رجعوا الى الموصل ثانية . إلا ان سكان الموصل لم يستسلموا لهم بالرغم من محاربتهم لهم . فلجأ هذا الطاغية الى شتى الحيل : حفر الغاماً تحت الارض لاحراق السور ملاها بالبارود ووضع سلالم كثيرة لتسلق السور ، ومنهم من جاء بالتبن ليملأ الخنادق واتقنوا عملهم . فاجتمعت العساكر كلها في تلك الليلة حوالي الألغام ، غير ان الألغام رجعت عليهم فمنهم من اختنق بالدخان ومنهم من ابتلعته الارض . فلما رأى الملك طهماس ماجرى اغتم ، بينما تشجع الموصليون على الاسوار واخذوا يرمون (الفرس) بالقنابل وقتلوا منهم رجالا بلا عدد . فارتعب الملك طهماس لما رأى من عجائب الله وآيات قديسيه . وارسل رسلا لطلب الصلح . فجاؤوا عند ملك الموصل وقدموا له الهدايا كما وان حسين باشا بدوره ارسل ابن عمه (١) الى طهماس بهدايا وتم الصلح بينهما . فقام وغادر جوار الموصل وعاد قافلا . وفي رجوعهم احرقوا

---

(١) هو الحاج قاسم اغا بن الحاج خليل اغا بن عبد الجليل .

القرى . وتوجه طهماس الى بابل (بغداد) حيث ان ملك بابل احمد باشا كان محباً له ، وكان هذا سبب النكبة كلها ، مما جلب عليه نقمة ملك القسطنطينية العظيم (السلطان) .

وان حسين باشا المذكور اوفد ابنه (١) الى ملك بوزنطيا (القسطنطينية) العظيم ليبشره بالنصر الذي وهبه الله اياه على ملك الفرس . فذهب ووصل عند الملك وبشره بالنصر وقص عليه ما جرى من الخراب والقتل والنهب والسبي والشدة والضيق دون ان يسلموا المدينة . فسر الملك ورحب به واجزل عليه العطايا وزوده بفرمان لتعمير الكنائس في ولاية الموصل كلها حينئذ نحن سكان قرية بيث خوديدا بارحنا الموصل ورجعنا الى قريتنا ، فوجدنا اغلب الدور محرقة ، اما ما كان قد بقي في القرية من الحبوب فمنه ما نهبوه والباقي احرقوه ، وهذا ما فعلوه ايضاً في باقي الجهات حتى الجبال . وحدث من جراء ذلك ضيق شديد ومجاعة عظيمة في هذه البلاد .

رجع ابن حسين باشا وجاء الى ابيه وقص عليه عن اكرام ملك بوزنطيا له وعن الهدايا وفرمان تعمير كنائس المسيحيين . فاجاز حسين باشا ببناء الكنائس القديمة والاخرى التي كان الفرس قد احرقوها . فبنى الموصليون ثماني كنائس . ونحن اهالي بيث خوديدا ، شرع ابونا المبجل والمستحق للذكر الطيب مار ايوانيس مطران كارس يحرك

---

(١) هو امين بك الذي صار محمد امين باشا فيما بعد .

همة اهالي القرية بحماسة ، فشيدوا كنيسة مار سركيس وباكوس المقدسة وكان ابونا الموقر قائما على رأس الفعلة ، مهتما في العمارة ، مشتغلا بنشاط ومعه اهالي القرية حتى انتهت بناية كنيسة مار سركيس وباكوس . كما وانه رمم وجدد كنيسة القديسة مريم ام الله التي كانت مملوءة من الاخشاب والابواب وباقي ما لم تتمكن الاهالي من نقله الى المدينة (الموصل) فوضعوه فى هذه الكنيسة . وفي قدوم الفرس ، القوا النار في هذه الاخشاب فاشتعلت الكنيسة والكتب الباقية فيها .

منذ قدوم الفرس هذه البلاد حتى سنة ٢٠٥٧ (١٧٤٦ م) لم يبطل ولم ينقطع الخوف والرعب ، ولم يهدأ قلبنا شهراً واحداً من جراء الانباء المرهبة وسبي البلدان والمجاعة . وفي السنة التي فيها كتب هذا الكتاب لم تأتنا الحبوب . ومن خمسة عشر كيلا من المزروعات لم يدخل اهراءنا كيل واحد في ولاية الموصل كلها » (١) .

﴿ ٤ ﴾

• الهامش الرابع : كتبه الخطاط بولس بن عبد العزيز سنة ٢٠٦٨ يونانية (١٧٥٧ م) بالكرشونية ننقله على علاته :

« فلما كان في تاريخ سنة ٢٠٦٧ (١٧٥٦ م) انا الحقير اقول الى محبتكم شيء الذي قد صار فى ذلك الزمان . قد صار نقصان المطر وما

---

(١) راجع ماذكره لانزا عن هذه الواقعة الشهيرة ، صحيفة ٣٧ ـ ٣٨ .

بجاه الفللة وما صار الحصاد لكن شيئاً قليل زهيد اناس بايديهم ملاش
شعيراً وبعد ذلك صار حرراً عظيم حتى ما كان احد يطيق يقف نصف
ساعة برا في الشمس وبقوا الناس يفلقون من قلة الحنطة والشعير وما
يعرفون ايش يعملون من كثرة الحار لايمشون ولايجون حتى صوم السيد
ومن ذلك الوقت بقو الناس يمشون الى الكروان على ولاية كوى و
شهرازون وعلى كركوك ويجيبون حنطة وشعير واما بزعة (خوف) كانت
كثير من البو حمدان وكثرة الناس شلحوهم ومنهم من هلكوا من الجوع
والعطش والحر ومن الخوف وكثير مات من الدواب والناس وقلة الث
انجس كانت من كل شيء وبقوا الناس على هذا الحال يعيشون ع
سؤ امر من الموت حتى ان جاء محال الفراع (البلة) والمطر سنة ٦٨
وما صار مطر في محاله لكن تأخر وفي صوم الميلاد ثلاثة ايام في ك
الاول امر الله تعالى وصار مطر وصار برد عظيم وجليداً صعباً وجلد
المياه وانمسكت وصار برداً شديداً الذي ماصار مثله وما بقي يصير حـ
ان الشط قد انغلق وصار مثل الحديد. وتحاسرت الموصل وبقت مدة
تسعة ايام لايجوز احد ولايطلع ايضاً وتحيرت المدينة واهل القرى ا
لاسفينة تدور ولاجسر بما كان الجسر تملش بامر من الله وانهز
السفن وما كان بقى واحدة منهم. ومن بعد تسع ايام بقوا يمشون
الماء اناس مثل ما يمشي انسان على راس الجبل بلا خوف ولابزعة
ذلك البحر وصار درب مثل ما يسلكون على البر كذلك بقو يسلكو

على هذا بحر الموصل اناس وحيوان وكان يجي كروان من الجبل او من مكان آخر ويصل الى الشط وكان يمشي ويفوت ولا يخاف إن كان محمل وان كان فارغ ان كان بغل وان كان جمل وان كان حمار او ثور وما بقا كان سوال كجاري عادة . بقى هذا الحال مقدار واحد وعشرين يوماً اناس يجوزون ويطلون على البحر قدام الموصل وبقى ذلك البرد مقدار اربعين يوماً واقف حتى ماتوا به الغنم والبقر وبقي الحيوانات والسمك عميوا وكان ينزل ادمي على الزاب او على الخازر او على الشط ويمسك ويصيد مقدار ما كان يريد خاطره . وبقا سمك كثير حتى عافوه الناس من الاكل . ورحم الله عن عبيده وبطل البرد الناس يمشون الى الكروان ويبيعون حنطة وشعير الا كان غالي وزنة حنطة في قرش رومي وزنة شعير فى اربعين صحاح . وجاء ربيع وصار غلا شديد وبقا طغار الحنطة بثلاثين قروش رومي وشعير طغار بعشرين قرش رومي وصار قحط كل شيء الذي للاكل » (١) .

---

(١) راجع ما كتبه لانزا في حوادث عام ١٧٥٧ ، صحيفة ٤٢ — ٤٥ .

Mosul in the 18th Century
According to the Memoir
of
Domenico Lanza

translated from italian into arabic

by

REV. RAPHAEL BIDAWID, Ph.D., D.D.,

Professor in the Chaldean Patriarcal Seminary

Second Edition

The Eastern Modern Press

MOSUL

1953

